

26

جذر الوقايع طوارع

# تراثيما الحب والعذاب

<http://ahmedbn221.blogspot.com/>

A  
h  
m  
e  
d

M  
a  
d  
y

مكتبي

الدار المصرية اللبنانية





## ترانيم الحب والعذاب

قد لا يتصور البعض هذا الكم الهائل من المشاكل الإنسانية والاجتماعية التي أصبحت تعصف بنفوس البشر ، وتطحن الناس وكأنهم حبوب صغيرة دفعتهم تصارييف الحياة بين شقى الرحى.

الإنسان منذ وجد على وجه الأرض وهو يسعى إلى الأمان والسلام والطمأنينة .. وعندئذ يتغنى بهذا الشعور الجميل الذى يملأ فؤاده ، ويخلق به فى سحابات السعادة والود والصفاء النفسى.

ولكن بقاء الحال من المحال كما يقولون ، وهو قول صحيح فى معظم الأحوال .. فقد يتزلزل الود ، ويتعكر الصفاء وتهتز السعادة أمام رياح الشقاء .. وعندئذ يحل العذاب بالنفس الإنسانية وتحل الأحزان محل الأفراح. وفى هذا الكتاب يتحفنا الأديب الإنسان الأستاذ الكبير عبد الوهاب مطاوع بمجموعة من المواقف الإنسانية والمشاكل الاجتماعية .. بعضها يتغنى بترانيم الحب .. وبعضها الآخر يترنم بأهات اللوعة والعذاب...

\* نائب رئيس تحرير جريدة الأهرام ورئيس تحرير مجلة الشباب.  
\* حصل على جائزة مؤسسة على أمين ومصطفى أمين عام ١٩٩٢ كأحسن كاتب صحفى يكتب فى المسائل الإنسانية.

\* يكتب باب (بريد الجمعة) الإنسانى فى الأهرام كل أسبوع بانتظام منذ عام ١٩٨٢ ، ويشرف على باب بريد الأهرام اليومى بصحيفة الأهرام.  
\* صدر له أكثر من ٢٧ كتاباً ، يتضمن بعضها نماذج مختارة من قصص بريد الجمعة الإنسانى وردوده عليها ، ويتضمن البعض الآخر قصصاً قصيرة وصوراً أدبية ومقالات فى أدب الرحلات.

\* له ثلاث مجموعات قصصية هى :  
( أماكن فى القلب ) ( ولا تسنى ) ،  
( والحب فوق البلاط ).



الدار المصرية اللبنانية



6222006310424



## الفهرس

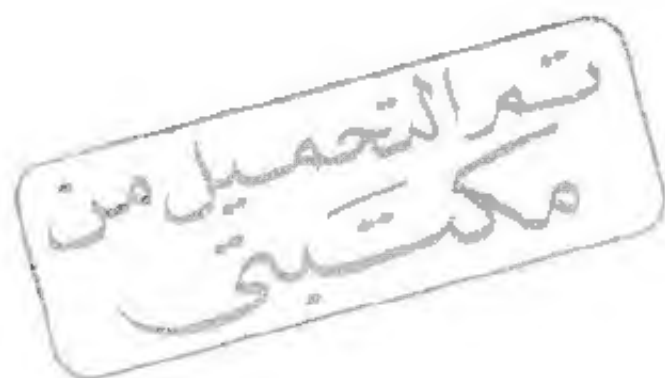
### ● مقدمة

- ٧
- ٩ - ١ - الحلم القصير .
- ٢١ - ٢ - ترانيم في هيكل الحب والعذاب .
- ٤٣ - ٣ - المعاني والأحاسيس .
- ٥٣ - ٤ - مذكرات الزوجة .
- ٦٣ - ٥ - لا تصعدى السلم .
- ٧٥ - ٦ - ظلال من الماضي .
- ٨٩ - ٧ - شيطان في بيتنا .
- ٩٩ - ٨ - وداعا يا كل الأشياء الجميلة .
- ١٠٧ - ٩ - شيء من العطف .
- ١١٧ - ١٠ - والأحباء لا يعرفون الصمت .
- ١٢٧ - ١١ - النظرة الأخيرة .
- ١٣٩ - ١٢ - موعد مع الربيع .
- ١٤٧ - ١٣ - أشياء لا تعوض .



عبد الوهاب مطاوع

# تراثيما الحبيب والعذاب



الناشر  
دار الفكر العربي للنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا  
شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ  
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ صدق الله العظيم

# درائنه الحب والعذاب

القليل يسعدنا . . لأن القليل أيضا يشجينا !

كلمة معبرة للكاتب والفيلسوف الفرنسي « بانسكال » الذي ولد عام ١٦٢٣ م ، ومات عام ١٦٦٢ م ، وعاش ٣٩ عاما فقط ، وقد سجلها في كتاب « الخواطر » ، فلم تزل منذ قرائتها وتعرفت عليها تراودني من حين لآخر وأتذكرها كلما تأملت بعض مواقف الحياة .

فالقليل من أسباب البهجة قد يسعدنا بحق إذا عرفنا له قيمته وعرفنا كيف نستمتع به . . والقليل من أسباب التعاسة قد يشقينا بالضرورة ويشعرنا بالأسى له والانكسار أمامه . . ولأن حواسنا تتنبه لأسباب الشقاء والتعاسة بأسرع مما تتهلل لأسباب البهجة والسرور ، فمن واجب الإنسان تجاه نفسه أن يدرب مشاعره على الاحتفاء بالقليل الذي يتاح له من أسباب السعادة . . كما يتأثر تلقائيا بدواعي الشجن والتعاسة . . فنعادل بذلك بين لحظات البهجة القصيرة وفترات الشجن البطيئة . . ونقبل بهذا المزيج العادل ونمضي في طريقنا إلى غايته المرسومة ، كما

يفعل ماء النهر الذى لا يرجع إلى منابعه أبداً ، ويواصل السير دوماً مع  
التيار إلى مصبه الحتمى ، ولأن الأمر كذلك فلا مفر أمامنا من أن  
نحاكى النهر فى مسيرته الأبدية ونمضى فى طريقنا المقدور لنا راضين بما  
حملته الأمواج لنا من أسباب السعادة وأكدار الشقاء . . وفى هذا  
الكتاب بعض الصور الأدبية والمقالات التى تسجل طرفاً من ثنائية الحب  
والعذاب . . والبهجة . . والشجن !

**عبد الوهاب مطاوع**

# درائيم الحب والعذاب

## الطلم القصير

ماذا دهاها حين رأت هذا الرجل ؟

ولماذا تشعر بهذه الرغبة القاتلة فى الحديث معه ؟ ولماذا تفتنها كل كلمة ينطق بها ، ولو كانت كلمة عادية ومألوفة ؟ بل ولماذا تضحك أيضاً من قلبها لكل طرفة يرويها لها ، ولو كانت تعرفها من قبل ؟

إنه ليس وسيماً كنجوم السينما . . ، ولكن ملامحه توحى بالطيبة والجدية والثقة ، فلماذا إذاً تشعر بهذا « الانجذاب » القاهر إليه ؟

سألت نفسها هذه الأسئلة مراراً ، وهى تعجب لأمرها ، وتحس بأنها كما لو كانت منومة مغناطيسياً ، وتحتاج لمن يفيقها من هذه الغيبوبة الطارئة . . ولقد حاولت ذلك بالفعل ، حتى لطمت خدها بيدها لكمة خفيفة ، كأنها تنبه نفسها للصحو من هذا الحلم الغريب . . والإفاقة على الواقع الذى ينبغى لها ألا تنساه .

فهى ليست فتاة طائشة ؛ لكى تنجذب لأول من يلفت نظرها من الرجال ، ولا هى امرأة عابثة ، تستجيب لنزواتها وتستسلم لها بلا مقاومة ، إنها امرأة محترمة ، يشهد لها الجميع بذلك ، وزوجة مخلصه



لزوجها منذ ارتبطت به ، وأم رءوم لفتى وفتاة على مشارف سن الشباب .  
فماذا جرى لها إذا ؟ وهل يمكن أن يتعرض الإنسان فجأة لمثل هذا  
الزلزال ، الذى يهزه من الأعماق بغير مقدمات ؟

لقد كانت تعيش حياة هادئة تماماً فى هذه البلدة الصغيرة مع زوجها  
وابنيها ، فيعمل زوجها فى المزرعة المحيطة بالبيت ، وتساعدته هى من  
حين لآخر فى عمله ، ويذهب أبناؤها إلى المدرسة بالبلدة القريبة ،  
وتجتمع الأسرة كل ليلة على مائدة العشاء فى أمان ، والحياة تمضى فى  
طريقها المرسوم ، صحيح أنها حياة هادئة وفاترة بعض الشيء ، ولكنها  
أيضاً حياة هادئة ، ولا تشهد أية منغصات ؛ فزوجها يحبها بإخلاص  
منذ رآها لأول مرة وارتبط بها ، وهجرت بلدها وجاءت للإقامة معه فى  
هذه المزرعة ، وابناها وديعان ومتفوقان فى الدراسة ، وإن كانا قد كبرا  
الآن ، وبدأ يميلان للاستقلال بأفكارهما وأوقاتها عنها ..

والبلدة التى يعيشون فيها جميعاً بلدة صغيرة وهادئة ، والجيران  
طيبون ، وما يجرى لأحدهم من أحداث يعرف به الجميع على الفور ؛  
لأنها بلدة لا أسرار لها .. ولقد كان حديثها فى الفترة الأخيرة عن تلك  
السيدة التى خالفت المألوف ، وأحبت رجلاً متزوجاً من أبناء البلدة  
وأحبها ؛ فنبذها أكثر أهل البلدة استياءً منها وامتنعوا عن دعوتهم إلى  
بيوتهم فى المناسبات الاجتماعية ، ولم يقبل أحد عذرهما فى أنها قد أحبت  
رغمًا عنها ، ولم تكن تريد ذلك لنفسها ، ولكنه الحب الذى لا سلطان  
عليه لأحد ! .

ولقد كانت هى نفسها واحدة من هؤلاء « الآخرين » ، الذين أدانوا هذه السيدة الخاطئة ، وقاطعوها احتجاجاً عليها ، فماذا دهاها حتى تضع نفسها فى مثل هذه التجربة المزلزلة !

لقد كانت تشعر فى الفترة الأخيرة بالسأم والملل ، وشىء من الغربة النفسية بعد ١٨ عاماً من الزواج ، ولهذا فلقد رحبت فى أعماقها باعترام زوجها اصطحاب ابنه إلى مدينة بعيدة لمدة ٤ أيام ؛ لكى يشترك باسم ابنته فى سباق لاختيار أجمل الخيول الصغيرة ، ورفضت إلحاح زوجها وولديها عليها ؛ لكى تصحبهم فى هذه الرحلة ، وآثرت بأن تختلئ بنفسها هذه الأيام الأربعة ، لعلها تستعيد بعض حماسها للحياة ، وودعت ولديها ، وزوجها يسألها فى حيرة . . كيف سيواتيه النوم خلال هذه الأيام الأربعة ، وهو الذى لا يطمئن له جانب ، إلا إذا كانت إلى جواره ؟ وهى تطيب خاطره بأنها وحدة مؤقتة ولن تطول به .

ثم ودعها الجميع ، ومضت بهم السيارة على الطريق الممتد أمام البيت الهادىء ، ومن هذا الطريق نفسه جاءها « قدرها » بعد ساعتين فقط من رحيل الأسرة ! .

فلقد كانت تجلس فى الشرفة الأرضية للبيت تستمع إلى الموسيقى ، وتسرح بخواطرها بعيداً ، حين شاهدت سيارة تقترب من البيت ، ثم تتوقف أمامه ، ويتزل منها رجل متوسط العمر ، مريح الملامح ، فيتجه إليها ويسألها عن الطريق إلى جسر قديم بهذه المنطقة ، يريد أن يصوره للمجلة الجغرافية التى يعمل بها ، فتشرح له الطريق بإسهاب ، ويركز

هو انتباهه على شرحها ؛ لكيلا يضل الطريق إليه ؛ فإذا بها تتوقف عن  
الشرح فجأة ، وتسأله :

- هل تحب أن آتى معك لأرشدك إليه !

فماذا دفعها لأن تعرض عليه هذا العرض . ولم يكن مطلوباً منها ؟

إنه سؤال لم تستطع الإجابة عنه أبداً بعد ذلك ، وكل ما استطاعت  
أن تفسره به لنفسها ، هو أنها قد أحست برغبة قوية مفاجئة في أن  
تصطحب هذا الرجل إلى الجسر الذى يبحث عنه ، فوجهت هذا السؤال  
إليه .

ولقد رحب الرجل بالطبع بعرضها الكريم . . وركبت إلى جواره  
السيارة ، وخلال الطريق تبادلوا حديث الغرباء ، الذين يلتقون لأول  
مرة ، ولكنه حين مل بجسمه قليلاً ليخرج شيئاً من «تابلوه السيارة» ،  
ولمس ذراعه عموماً ذراعها ، أحست بتيار صاعق يسرى في جسمها كله  
. . ويزلزله ! .

وعند الكوبرى نزل الرجل . . واختار مواقع التصوير ، واعتزم أن  
يرجع إليه مع أول ضوء في الفجر ؛ ليبدأ مهمته وعاداً بالسيارة إلى بيتها ،  
فأنزلها أمامه ، وشكرها على لطفها كثيراً . واستدار ليركب السيارة ؛  
ليذهب إلى فندق البلدة الوحيد . . فإذا بالسيدة الجميلة تسأله مرة  
أخرى ، بعد شيء من التردد :

- ما رأيك في فنان من الشاى !

فلا يملك إلا القول شاكراً . . . وتتقدمه إلى البيت وتبدأ في إعداد الشاي بالمطبخ . . . وهي لا تدري ماذا أصبح . . . ولا كيف فعلت ما فعلت ، وتجلس إلى مائدة المطبخ أممه ؛ فتسأله عن نفسه وعن حياته ، ويسأها هو عن نفسها وعن حياتها ، وتعرف أنه مطلق منذ سنوات ، ويعيش كل طائر آخر الشريد ، ينتقل من بلد إلى بلد ، ويرسل صوره إلى المجلة الجغرافية من أى مكان في العلم ، ويعرف هو عنها أنها روضة وأم ، وان أسرتها غائبة في رحلة قصيرة لمدة ٤ أيام ، ويتواصل الحديث بينهما بهيجاً ومثيراً للاهتمام والحماس ، كأنها قد ألفت الأقدار في بحيرة حياتها الراكدة حجراً ، حرك الماء الساكن فحأة .

ويرتوى الرجل من كرم لسيده الرقيقة ؛ فينهض شاكراً لها مساعدتها له ، والوقت البهيج الذى أمضاه في ضيافتها وترد عليه تحيته ساهمة . . . ثم تفاجئه للمرة الثالثة بهذا السؤال الغريب :

- هل تحب أن تبقى لتناول العشاء !

فهل يملك رجل مثله إلا الاستجابة ؟ لقد رحب على الفور بالدعوة ، واستأذنها في أن يخرج للحطات إلى سيارته ؛ ليبدل قميصه استعداداً للعشاء ، وخرج فهزت رأسها بعف ، كأنها تريد أن تصحو من حلم ، سلبها كل إرادتها وعقلها ، وتحركت في المكان حائرة تسأل نفسها لماذا تشعر بهذا الصعف المخزى تجاهه ؟ وما هذا التيار العاصف الذى يسرى في جسدها ، وهي ترقبه من نافذة المطبخ ، وهو يبدل قميصه أمام السيارة!

لا شك أنها بوبه حنون طاعيه . فكيف تقاومها ؟

ورجع الرجل بعد قليل ، وشركها إعداد المائدة ، وراحت هي تحرك نشاط وانتهاج ، وتستطيب كل ما يحكيه لها عن نفسه وعن رحلاته . وتصححت لها من قبها وهي لا تكف عن النظر إليه خفية ، ومضت الأوقات سعيدة ، وانتهت السهرة فاسأذن الرجل شاكرًا ومودعًا . فما إن غادرها ؛ حتى شعرت بأنها لا تستطيع النوم بسبب انفعالها ، بما أحدثته هذه التجربة من إثارة لأعصابها ومشاعرها ، فكتبت على ورقة صغيرة هذه الكلمات :

- إذا أردت أن تحصر للعشاء مرة أخرى ففضل بعد انتهاء عملك في أى وقت ! .

ثم ركت سارتها واتجهت إلى الكورنى القديم ، وثبتته على حذاره ورجعت إلى بينها مضطربة ومستهجة في لوقت نفسه !

وفي العجر ذهب الرجل إلى جسر القديم ، وقرأ الورقة ، ووضعها في حيبه ، واهتمك في عمله ، وبعد ساعات عاد موقع الجسر القديم ، متوجهًا إلى حسر آخر في الناحية الأخرى من البلدة ، واتصل بالسيدة الرقيقة نيمويًا ليشكرها على دعوتها الجديدة وبلغها بأنه سيبسبها في المساء ، ثم يبلغها أنه سيذهب الآن إلى موقع الجسر الآخر ، فهل تحب أن تأتي إليه هناك ، وتجييه بالإيجاب على الفور . . . وبعد الرجل في رحيب بذلك ، إشتاقا عيه واستشعاراً لمسئولية عه . فلقده شهد نفسه في مقهى البدة ، كيف نظر أهلها إلى تلك المرأة الحاطئة لتي



حبت رجلاً متزوجاً . . وكيف أساءوا معاملتها . . وهو لا يريد أن  
عرص سمعتها لأية شائبة . ويكرر عليها السؤال جديد : هل  
تريدين حقاً المجيء ؟

فتجيبه بحزم . وقد خارت كل مقاومة ها بأمر تريد أن تذهب إليه  
بالفعل ، رغم ذلك !

ثم تنهض بحيوية وتركب السيارة إلى البلدة القريبة . وتدخل أحد  
متاجرها ؛ لتشتري لنفسها فستاناً حديداً وتتساءل وهي تحربه . . كم  
مضت عليها من سوت ، لم تفكر خلالها في شراء فستان حديد؟

وفي الأصيل تتجه إلى الجسر ، الذي يعمل عنده «قدرها» الطاريء  
وتلتقي به . . وتراقبه ، وهو يعمل باهتمام شديد ، ويرجع معها إلى  
البيت . فنصعد إلى غرفة نومها وترتدى الفستان الجديد ، وتزل إليه فما  
أن يراها به حتى يفتح فمه مشدوهاً ، وهو يتمتم .

- يا إلهي . . كم أنت جميلة ؟

ويستحيب الغريدن لهذه القوة الطاغية ، التي تدفع كلاً منهما في  
اتجاه الآخر ، فيرقصان على أنغام الموسيقى الهادئة في البيت الخالي . .  
ويشتد اقتراب كل منهما من رفيقه ، حتى يهمن بأن يستسلم لأحضانها ،  
ولكن الرجل يتوقف في اللحظة الأخيرة ، محاولاً أن يتمالك نفسه ،  
ومشفقاً على شريكته في السهرة من سوء العاقبة ، فراحعها للبصرة  
الأخيرة ، فيما يهمان به ويقول لها : إذا أردتني أن أنرقف ؛ فاطلبي مني  
ذلك الآن ؟

ولا يفجأ كثيراً حين تقول له ، وقد غاب العقل ، وذبت الإرادة :

- لم يطلب منك أحد أن تتوقف !

وينهل الغريبان من بحر العشق الذى بلا شطآن .

وفى الصبح يجلس الحسان اللذان ، جمعت بينهما الأقدار على غير  
انتظار إلى مائدة الافطر ، وهما يشعران بألفة غريبة ، وكأسى قد تشرك  
رحلة الحياة منذ سنوات طويلة . . ويقضيان ليوم كله فى الخلاء خارج  
البلدة .

ويرجعان فى مساء ويتناولان العشاء ، فيبدأ طائر المراق القريب  
بحوم حول سمائهما ، ويلمى بطلاله على المكن . لقد عاشا نشوة الحب  
الطارىء ، فكنت بهجة سحرية حالصة . . والآن قد بدأ يخالط هذه  
النشوة شىء من اشجن الثقيل ! وماذا بعد ؟ وماذا سيكون من أمرى  
بعد رحلتك ؟ وهل ستسنى ، كما نسيت من التقيت هم قلى ، خلال  
رحلاتك السابقة ؟ وماذا أفعل بحياتى بعد أن ترحل ونسانى ؟ هل  
يمكن أن أعود المرأة نفسها ، التى كستها قل هذه التجربة ؟

ويقطع عليها الرجل تساؤلاتها وانهايتها ، صباح ليوم الأخير لهما  
معاً ، بأن يقول لها فى حزم ، وسحب الهموم الطارئة نتكثف داخله :  
تعالى معى !

نعم إن هذا العرص الذى تتمناه ، ولكنه للأسف لا يحل  
مشكلتها . فلقد أحبت هذا الرجل الغريب حقاً ، وانهارت حصومها

أمامه بلا مفاومة ، ولكنها لا تستطيع رغم ذلك أن « يذهب » معه مثل  
هذه الساطة . . وكى يطالبها هو ؟

ومن بين دموعها الغزيرة ، تقول : لا أستطيع أن أفعل ذلك ،  
حتى لو أردته ، فلست أستطيع أن أفعل هذا بولدى واستى ؛ لاسهاس  
بقدر اعى مواجهة كارثة هروب أمها مع رجل غريب . . ونس يحنملا  
الحياة فى هذه البلدة ، ولا أستطيع أيضاً أن أفعل ذلك بزوحى ، وهو  
إنسان طيب لم يؤد أحداً فى حياته وتمهل دموعها غزارة .

ويقف الرجل أمامها حزيناً ومكتئباً ، وهو يكرر عديها نداء الحب بأن  
تأتى معه ، وترتبط به إلى هدية العمر . لأنها ليست حباً عابراً فى حياته  
وإنما احب الحقيقى الذى سافته الأقدار إلى هذا المكان ؛ خصيصاً  
لكى يلتقى به . . ويعطىها فرصة أخرى لسفكير والمراجعة . فيقول لها  
إبه سيقصى بالبلدة بضعة أيام فى فندق لبلدة . ينتظرها فيه إذا عبرت  
رأيها ، ويخرج من البيت حزيناً منهرماً ، وبودعه من الشرفة الأرضيه  
نفسها ، التى رآته منها قادماً إليها ، قبل ٤ أيام

ويتحرك الرجل بسياربه متعداً عنها ، وهى ترقه فى حسرة ولم ،  
وتتجمد فى الشرفة ترقب الطريق الحالى ، الذى عاب فيه ، إلى أن تظهر  
فى الأفق بعد قليل سيارة الأسرة التى تحمل لها واقعها ، التى لا تستطيع  
أن تهرب منه ، لقد رحع الروح والأبداء ، ون للقلب أن يصحو من هذا  
الحلم الغريب . ومع عودة الأسرة إلى البيت ، يعود الرشد ولعقل ،  
والإحساس بالمسئولية العثية للسيدة لرقيقة

وتوجه بعد أيام من عودة زوجها احتبراً أخيراً لإرادتها : حين يرى  
بصده - وهي مع زوجها في المدينة القريبة - الرجل الآخر ، يطل الحلم  
للمصير ، يقف في انشراح ينظر إليها في حسرة صامتة ! فتكاد تضعف  
للحظات ، وتحقق به ، ثم تسترد نفسها بصعوبة ، وتحتفى بزوجها  
باكية ومولولة !

وتعشش لروحة بعد ذلك حياتها النصيعية ، فلا يجد عليها فيها  
شيء ، سوى أنها قد أصبحت أكثر ميلاً للوحدة والصمت وأكثر  
انفعالا بالأغاني العاطفية ، التي يذيعها الراديو القديم في حجرة  
المطبخ . ولا يطرأ عيبها طارئ غير مألوف ، إلا أنها قد وجدت نفسها  
مدفوعة بقوة عامضة لأن تذهب إلى تلك المرأة الملبودة من أهل البلدة ،  
سبب صنعها العاطفي ، ليعذر لها عن مقاضعتها الساقية لها ، وتصبح  
صديقتها فتروى لها سرها ، لدى لا تستطيع أن ترويه لسواها ، وتتفهم  
هي لأول مرة أسباب ضعف هذه المرأة ، الذي لم يعفّر لها أحد .

وتقصي السنوات ويكبر الأبناء ، ويتقدم الزوج الطيب في العمر  
ويمرض فترعاه زوجته بحدن شديد ، وتقل يده ، وهو في اسرع الأخير  
اعترافاً له بعطائه لعاطفي لها ، طوال سنوات العمر . . ويسسلم  
للمصير ، وإلى خواره المرأة التي أحبها بإخلاص .

وبعد رحيله عن الحياة ، يستيقظ الحلم الغريب في نفس المرأة  
الرقيقة ، بعد أن تسيل الشعر الأبيض إلى رأسها ، وتبحث عن بطمه  
القديم ، فلا تهدي إلى عنوانه ، لأنه قد ترك المحلة الجغرافية منذ

سواب ، ولا تمضي ٣ سنوات أخرى ، حتى تنقضى طردا بالبريد من محام  
لا تعرفه وتفتح اطرده ، فتجد فيه كاميرات ذلك المصور ، الذى جمعت  
بينها وبينه الأقدار ذات يوم . . وكل مقتنياته ولصور التى التقطها لها  
عند الجسر القديم . . والسلسلة التى تحمل الحرف الأول من اسمها ،  
وأهدتها إليه خلال الأيام الأربعة ، بل والورقة القديمة التى دعت به  
للعودة للعشاء مرة أخرى . وكتاباً مطبوعاً عنوانه « ٤ أيام من عمرى » ،  
يروى فيه قصة الحب لحقبة الوحيدة فى حياته ، ثم رسالة من  
المحامى ، يبلغها فيه بناء على صلب موكله بأنه قد أوصى بحرق جثمانه ،  
بعد موته وذر رماده من فوق الجسر القديم ، الذى جمع بينهما فى هذه  
القصة الغريبة . وتحزن لسيدة الرقيقة لرحيل فارس لقلب الوحيد .  
وتسعد فى الوقت نفسه ؛ لأنه أقام على حبها ، حتى اللحظة الأخيرة من  
عمره ، ودون أية محاولة للاقترب منها أو الاتصال بها .

وبعد بضعة أعوام أخرى ، يوافيها الأجل المحتوم ، ويأتى اسمها  
واستها وصديقتها الحميمة لوداعها لأخيراً ، ويقاحاً الجميع بوصيتها هم  
بحرق جثمانها ، وذر رماده من فوق ذلك جسر القديم القريب من بيت  
الأسرة .

ويتعجب الابن هذه الوصية غير المألوفة ، ويهم الآن بإهدارها ،  
وبأن يشيع أمه إلى مثواها الأخير حسب الأعراف السائدة ، لولا أمه  
كانت قد تركت له ولشقيقته رسالة طويلة . تروى هم فيها سرها المكتوم  
وتعتذر عنه ، وتذكرهما فى رسالتها بأنها قد احتارت سعادتهما وكرامتهما



على حساب سعادتها هي . وترجوها الالتزام بتفويض وصيتها رغم  
عربها : « لأنني قد أعطيت لكما ولأبيكي الصب كل حياتي ، وأريد أن  
أعطي ما بقي من حسدي ، لذلك لرحل الذي ينتظرنى رماد جسده ،  
تحت ذلك الجسر القديم !

ولا يملك الابن إلا لاسنجانة لرحلتها الأخير ، وتنتهي هذه القصة  
الأمريكية لعربية ، التي ستغرق مشاعري فتابعها باهتمام شديد ،  
ورويت فيما بعد ملخصاً لأحداثها لناعمة لصديق أديب . فستمع  
إليها نابهر شديد ، وتأملها طويلاً ، ثم سألتني في النهاية :

- ترى ما « المعزى » ، الذي يخرج به الإنسان من مثل هذه القصة  
لغريبه ؟ ولا نلاحظ أن الأدب القصصي الأمريكي المعاصر يركز الآن  
كثيراً على قصص الحب لعرض ، التي قد تصادف الإنسان في أية  
مرحلة من العمر فيستجيب لندائه ، دون تقدير للعواقب ، وحتى ولو لم  
يكن في حياته قبل هذا الحب العارض ، ما يشكو منه ، أو ما يدفعه  
للاستجابة لمثل هذه المعامرة الطارئة ؟

ومكرت قليلاً في قال ، ثم قلت له في النهاية . إنني ألاحظ  
بالفعل هذا الاتجاه في الأدب القصصي الأمريكي ، ولا أجد له ما يبرره  
ولكنني أعتقد أن المغزى الحقيقي لمثل هذه القصة الناعمة ، هو أن  
يرفر الإنسان بعد أن يفرغ من قراءتها هاتماً :

- ربما ولا تصعنا في تحفة !

أمن يارب العالمين !

## تزانهم في ميكل الحب والمذابح

ترى لماذا لم أكتب هذه القصة من قبل ، على كثره ما رويت من ذكريات وتجارب شخصية ؟

هل لأنني مارلت كما تذكرت مشهدها الخدمي ، الذي كنت طرفاً فيه بالصدفة ، أشعر بعض الخجل من نفسي ؛ لتسرعني في الحكم على إنسان ، لم أكن أعرف حقيقة ظروفه المؤلمة وقتها ؟ ثم لأن لإنسان يضيق دائماً عقله الواعي بالحيرة المؤلمة ؛ فيضعط عليها ، لتعصف به دائرة اللاوعي عنده ، ويتصور بذلك أنه قد نسيها واسترح منها ؛ قد يكون هذا السبب أو ذاك ، ولكن المؤكد أيضاً هو أنني رسمت تهيتت حكيمة هذه القصة لحجم ما تحمله من مأس وفواحش ، قد يتردد الإنسان معها في أن يحكيها ، مخافة أن يتهمة أحد بالمبالغة أو الميلودرامية

ولأنا لأسسى الخثرات المؤلمة كما تصور وإيها نبع في دائرة اللاوعي ، تستطر أي مثير خارجي ، يستدعيها من الأعماق السحيقة ، ولقد تلقت هذه الذكرى مثيرها الخارجي ، أو بطاقة الدعو لها لظمو

فوق سطح الذاكرة منذ أيام ، خلال حديث عابر بنى وبين صديق وزميل لى بالأهرام ، أما لحديث فلقد كان تعيقاً من جانب الزميل الصديق على قصة ، نشرتها منذ أسابيع في بريد الجمعة ، بعنوان « لنظرات اللائمة » . وأما بطاقة الدعوة لهذه الذكرى القديمة ، فلقد كانت « عمارة » . قاض هذا الزميل متعجباً في ختام تعديقه على القصة ، سأذكرها في حينها .

وكنب القصة اتى نشرتها تروى على لسان أب ، يشغل منصفاً كبيراً في أحد الأجهرة السياسية المهمة . ويقول لى في رسالته : إن أمه قد عرست فيه منذ الصغر كراهية أسرة أبيه الراحل . وكراهية أحد أفرادها بالذات ؛ لأنه قد تصدى للأم عقب وفاة زوجها . وأصر على تقسيم تركته ما عدل . بينها وبين أبناء الرجل من روعة سابقة . على خلاف رعبتها في الاستئثار بمعظم لركة دوسهم ، فكان أن قطعت أسرة لأب ، واتهمت هذا الرجل بأنه المسئول عن حرمانها وحرمان ابنها ؛ مما كانت تراه حقاً . وانتعدت بحياتها وبنسبها عن أسرة لأب مهائياً ، ونشأ الآن في أحضان أسرة لأم . وتعلم وتخرج في كليته . وعمل ، وتروح ، وأنجب ابنة وحيدة ، أصبحت قرة عين أبيها وأمها وصديقتهما الأولى .

وتدرجت الابنة في التعليم . حتى التحقت بكلية لسياحة ولفنادق . وتفتح قلبها للحب ، وبدأت تتحدث - كعادتها في مصارحة أبيها بكل شىء - عن زميلها الشهم ، الذى يبال احترام كل زملائها . وعن رعبتها في دعونه مع زملائها إلى حفل عيد ميلاده انوشيك ، ويحبنى هذا

الشباب مع الزملاء فيكتشف الأب أنه بن ذلك الرجل ، الذي يعتبره  
المسئول الأول عن القطيعة بين أمه وبين أسرة أبيه ! ويضيق الأب بذلك  
كثيراً ، ولكنه يكتفم مشاعره : تجنباً لإحراج بنته فلا تمضي شهور بعد  
ذلك : حتى يتقدم إليه هذا الشاب طالباً يد ابنته . فيرفضه بقسوة  
ويطرده من بيته . وتتحهم سماء الأسرة ، التي كانت سعيدة بالعيوم

وبعد تطورت عديدة وغريبة ، يلاحق حلالها الأب بنفوذ هذا الشاب  
في كل عمل يلتحق به ، ليبعده عن ابنته بكل الوسائل ، ييأس الشاب  
نهائياً من تحقيق حلمه ، ويصطر للهجرة إلى فرنسا ، والحق بعض  
أصدقائه المقيمين هناك ، ويسعد الأب بذلك كثيراً ، ويتصور أن القصة  
قد انتهت مهبتها المريحة ، ويصعظ على ابنته بشدة ، لقول شاب ملائم  
نقدم إليها ، فيحاً باستسلامها لرغته ، بلا مقاومة ، ويقولها هذا  
الشاب بلا حماس ، وينم عقد قرامها بالفعل ، ثم تسكو لصاة فجأة من  
بعض الأعراض المرضية ، وبعرضها الأب على الأطباء ، فكوب بديّة  
لرحلة طويلة من العذاب والآلام .

ويكتشف لأب أن ابنته الجميلة قد امتحنتها الأقدار بالمرض اللعين .  
وتبدأ رحلة العلاج المرهقة ، وينجح علاقاته واتصالاته في السفر إلى  
باريس ، لعلاج ابنته في أحد المراكز المتخصصة هناك ، ويغادر مطار  
العاصمة الفرنسية مع ابنته وروحته ، فيمحاً بوحود الشاب ، الذي طرده  
من بيته ، حين تقدم لانتته في انتظاره ، وبأنه قد رتب له إقامة في مسكن  
ملائم ، بالقرب من المستشفى ، ثم يرافقهم بعد ذلك ، في كل

مراحل العلاج ، متفرعاً تماماً لخدمتهم ورعايتهم والتخفيف عنهم  
وتصارح الابنة أباها في مواجهة هذا لشب - قبل أن تدخل المستشفى  
لإجراء الجراحة الخطيرة - أماً قد عرّضت عليه قبل أن يهاجر لفرنسا أن  
يتزوجها سرّاً ، مادام لأب يصر على رفضه بلا مرر ، ولكنه أبى لها أن  
تخرج على طاعة أبيها وأمها ، وأن تصدم أبويها هذه الصدمة المؤلمة ،  
فكن رفضه للارتباط بها على هذا النحو ، هو السبب الوحيد ليأسها  
وقولها لمن رشحه لها الأب ، فارداد احترام الأب لهذا الشاب ، وازداد  
عمق الجرح ، الذى يخفيه عن ابنته أيضاً فهذا الشاب الآخر ، الذى  
ضبط عليها لتقبل به ، قد تخلى عنها ، حين علم بحقيقة مرضها وأرسل  
إليه بورقة طلاقها منذ أيام .

وتكتم لأب آخر عنها لكيلا يزيد من عمق جراحها ، ثم تدخل  
الفتاة المستشفى لإجراء الجراحة الخطيرة ، ويسترد الله وديعته اغالية ،  
فلا يجد الأب سنداً له في محنته القاسية وغرْبته ، سوى ذلك الشاب  
الذى أهانه وطرده من بيته فينهض برحولة وشهامة ، للقيام بالإجراءات  
الضرورية ، رعم عمق جراحه ، ويقترض من أصدقائه بمقاب العودة  
الحزينة للقاهرة ، ويرجع مع الأسرة وجثمان الحب الموءود لبلاده ، ليؤدى  
واحه لأخير تجاه من أحبها ، ثم يخفى من حياة الأب الذى يشعر  
بالندم لشديد على موقعه السابق منه ، ويكتب إليه راحياً ، مناشدته  
العودة لزياة الأب ، الذى أصبح يعتبره الآن ننه وعزءه الوحيد

كانت هذه القصة التى نشرتها ، وعنقت عليها بالأهرام . أما



«العبارة» لتي استدعت الذكرى القديمة من الأعماق لسحيفة ، فلقد جاءت على سان صديقى - عرضاً - وهو يناقشنى فيها ؛ إذ قال لى متعجباً : أمارال هناك فى الديب مثل هذ لشاب الشهم السس ؟ فإذا بالقصة لقديمه تطمو إلى ذاكرتى على الفور ، وإذا بى أحبيه قائلاً : لا تذكر زميلنا السابق بالأهرم فلاناً ؟ لقد كانت له قصة درمية عربية مع الحياة ، تكرر فيها هذا النموذج البيل نفسه من التضحية وبنكر الذات إلى الحد ، الذى يذكرو بالقصص الرومانسية القديمة ، التى لا يتصور البعض أنها قد تجرى على مسرح الحياة .

ثم بدأت أروى له ما لم يكن يعرفه من حياة هذا ارميل القديم ، فقد كان - قبل أن يعمل معاً بالأهرام - طالباً باخمعة الأمريكة بالقاهرة ، وخلال دراسته بها ، التقى بقصة حبه الأولى والأحيرة ، وكانت ابنة وحيدة لأب ، من أسرة عريفة ، رستقرصى النشأة والتفكير ، قصى زهرة العمر فى خدمة القوات اسلحه ، حتى ارتقى أكر مناصبها ، وتفرع بعد المعاش لمجتمع النادى الارستقراطى ، الذى ينتمى بيه بقصى فيه معظم أوقاته ، وبستمع بصداقات نحة من لشخصيات البار ، أما صديق القديم ، فقد كانت ظروف حياته ونشأته مأسوية إلى حد كبير ، فقد كان والده محامياً ، رحل عن الحياة وخلف وراءه ابنين ، لا سند لهما فى الحياة ، سوى ما يجده أحدهما لدى الآخر من عصف ومساندة ، وفيما عدا ذلك ، هم تكن لهما جدور عائلية كثيفة ، ولم يعرفا أقارب مقربين لهما ، فعاشا وحيدين تماماً فى الحياة .

وحيث استقى صديقى القديم زميلته هذه فى الجامعة ، تفجر ينبوع الحب والحرمان والوحدة فى قلبه تجاهها بعنف . وأحبته هى ، وأحسنت له الحب ، وكانت الحوائل بينهما تتمثل فى موقف الأب ، لارستقراضى التفكير ، احدى لن يقبل لابنته زوجاً ، لا يستند إلى أسرة عريقة كبيرة ، أو مال موروث ، أو علاقات عائلية تضيء علاقات أسرته الكبيرة .

ولكن ذلك لم يثن صديقى عن السعى إلى تحقيق حلم حياته الوحيد . ونخرج فى كليته مع فتاته فى عام واحد وعمل بالأهرام ، ونقدم للأب ، وسط إشفاق فتته عليه من الرفض المتوقع ، ولم يخيب الأب توقعات استه ، فرفض يد الشاب الممدودة إليه بقسوة ، وذكره بأنه شاب مبتدىء ، لا يملك مالاً ولا عقاراً ، ولا يستند إلى أسرة عريقة كأسرته ، يمكن أن تفتح له الأبواب المغلقة ، ثم نصحه فى ختام بصبحة مؤلمة بأن يبحث له عن فتاة من مستواه الاجتماعى ليرتبط بها !

ورجع الشاب مقهوراً مهروماً ، وبسبل العرس ، بصح حبة القلب ألا تخرج عن طاعة أبيها ، وهى انتته الوحيدة وأمله فى الحياة ، وأن يستسلم لما أرادته هما الأقدار ، واعداء إياها أن تظل ثمرة قلبه الوحيدة ، حتى ولو لم تجمع بينهما الحياة .

واستسلمت الفتاة لأقدارها . بعد طوف مقاومة وصراع مع أبيها ، وقبلت بعد عاء شديد الارتباط بمن رآه والدها ملائماً لها ، من الساحة المادية والاجتماعية ، وسافرت معه إلى مقر عمله كملحق بإحدى السفارات المصرية بالخارج ، ونظوى صديقى الشاب على أحرابه

ولامه ، حتى طبعت شخصيته وملامح وجهه صانع الأسى العميق ،  
ونشأ عن آلامه بالعمل ومآسياه ومشاكبه .

وبعد فترة ، شعر ببعض الألفة تجاه إحدى زميلاته ، واشتد عليه  
الإحساس بالوحدة ولصياح ، ففكر في الارتباط به ، وتوسط الزملاء  
بينهما ، فكان القول من الطرفين ، وتم اجتماع الشمل ونزوجا ، ولم يطل  
تحرتهما في الزواج أكثر من عام وبضعة شهور ، اقتنعا بعدها بأن كلا  
منهما لم يخلق للآخر ، ولم يجد لديه ما كان يأمل فيه من راحة القلب ،  
وتم الانفصال بينهما في هدوء وبلا مررات ، حتى لقد ضل بعد  
الانفصال ، بنعاملان مع بعضهم البعض كزملاء في لعمل ،  
بلا غضاظة ولا حساسية ، كأنما قد ترافقا في رحلة عمل ، استمرت  
لفترة قصيرة ، تقاربا خلالها على نحو ما ثم انتهت الرحلة ، ورحعت  
العلاقة بينهما إلى طبيعتها السابقة .

وفالت الرميلة التي رتبعت به إنها شعرت - حلال زواجه منه - أن  
قلبه لم يكن معها ، وأنه مزال مشغولاً بالفتاة التي أحبها ، حلال  
الدراسة ، وفرقت الأقدار بينهما .

وبعد انفصالي عن هذه الرميلة ، شهدت حياته تطوراً مفاجئاً  
وسعيداً ، لعمه كان الفصل السعيد الوحيد في رحلة حياته كلها ؛ فلقد  
رحعت فتاة القلب من أوروبا شه مريضة ومنهارة نفسياً وجسدياً ،  
وواححت أباه برعبتها الفاطنة في الحصول على الطلاق من زوجها ،  
ودكرته بأنه هو لدى أرغمها على هذا الزواج ، الذي شقبت به أشد

لشقاء ، وأن من واجبه تجاهها كأب أن يخلصها منه ، كما أرغمها عليه من قبل .

ورأى الأب ابنته الجميلة ذابئة أمامه ، وشاحبة شحوب الموتى ، فافتنع بخطأ إرغامها على الرواح ممن لم تحبه وسعى لنصعظ على زوجها لإطلاق سراحها ، وتحمل في سبيل ذلك تضحيات مادية كبيرة ، وقل له زوجها إنه لا ينكر على ابنته شيئاً من عشرتها له ، فهي حميله ورفيقة ومهذبه ، ولكنه عاش معها طوال فترة زواجهما ، وهو يشعر أنها بعيدة عنه يقبها وفكارها وأحلامها ، وأنه كان يشعر بعد المسافة بينهما ، حتى وهي ترقد إلى جواره في الفراش نفسه !

وانتهت هذه الصفحة التعيسة من حياتها ، وفوجيء صديقي القديم بفتته لقديمة ، تتصل به ذات يوم ، فما إن سمع صوتها ، حتى اضطرب نضبه ، وتعالى وحيب قلبه ، حتى ليكاد يسمعه من يجلس إلى جواره .

والتقى بقاته في حديقة البادي ، وقالت له بحسم إن كلا منهما قد تحرع التعاسة ؛ لأنه قد استسلم لأقداره دون مقاومة ، وبينهما الآن أمام فرصتهما الأخيرة ؛ للأخذ بزمام حينهما ، ولابد لهما أن يتزوجا الآن ، سواء قبل بذلك والدها أم لم يقبل ، وسألته : هل أنت على استعداد لمواجهة هذا الموقف ؟

وبقوة لأمل وحدها ، أحابها بالإيجاب وبقد وعده لها . واتصل بالأب

لأرستفراطى يطلب مفايلته ، والتقى به فى البادى ، وطلب منه يد ابنته  
مره أخرى ، وقال له إنه قد حنى على استه بإرعدامها عن الزواح ممن لا  
تحب ، وعليه هو أيسد حتى تجرع لتعاسة فى رواج فاش ، وأن الأقدار  
قد أتاحت لهما فرصة أخرى لجمع الشمل ، ولقد تحسست ظروفه المادية  
لأن كثيراً عما كانت من قبل ، فلقد أصححت نه شقة لأناس بها ،  
وأصبح دخله أكبر ، وسنطبع أن بصمر لاسنه بعض ما يرحوه ها من  
حياة لائقة .

واستمع الأب إلى «حصة» الشاب الحرة بين يديه فى جمود ، ولم يزد  
عن أن قل له - فى لنهاية - إن ظروفه مارالت دون ما يطلبه لاسنه ، وبه  
وقد تعلم من درس التجربة الماضية ، ألا يرغمها على رواج جديد ، فإنه  
مازال على موقفه من عدم الترحيب به ، ولكنه يترك لاسنه أن تختار حياتها  
هذه المرة ، وفقاً لإرديتها ، دون اعتراض مه ، ودون حماس أيضاً وسيترك  
للأيام أن تقول كلمتها .

ورجع الشاب إلى فتانه برد الأب المتحفظ ، فأدركت أنه لن يساعده  
شئ فى رواحها ممن أرادت ، ولكنه أيضاً لن يعترض طريقها ، لكيلا  
تحمله مسؤولية نعتسها ، «وترحمت» له موقف الأب ، الذى غاب عن  
فندا تقديره ، فقالت به إنه يقول لهما بوضوح : افعلنا بحاتكما م  
نشءان ، ولكى لن أشهد لكما زواجاً ، ولن أساعدكما شئ ، ولن  
دعو معرفى وأصدقائى من عبة القوم للاحتفال بارتباطكما ، وأنها  
حديثها ، بأن طلبت من فتها أن ينهضا الآن على الفور إلى مكتب



المأدور ، يبعد قرايها ، استعداداً لأن تحمل حقيبتها إلى شقته الصغيرة .  
ويبدأ معاً حياتها السعيدة بلا احتفال !

ورضع الشب لرعة فتاته ، وانظرها في سيارته الصغيرة ، أمام بيت  
نبيها حتى رجعت بحقيبة ملابسها ، ونوجها إلى المأدور ، ومن عنده إلى  
مسكنه الصغير ، ولأنه لم يكن له أثاث زوجه - حيث عقد قرائنها -  
فسافرت مع زوجها إلى أوروبا على الفور ، فلقد اكتفت بأثاث مسكنه  
السيط ، وأصافت إليه لمساتها الأنثوية الساحرة .

وهجع الحبيب أخيراً ، كلا منهما إلى صدر الآخر وتحقق الحلم الكبير  
في حياتهما واستردت ثمرة القرب الحميمة صحتها وصارتها ، خلال  
وقت قصير ، أما صديق الشاب . . فلقد جرت دماء العافية في  
عروقه ، واسترد وجهه الابتسامة المصمئة ، التي عانت عنه طوال  
السنوات الماضية !

عرفت رميى القديم - في هذه المرحلة من حياته - شاباً طيباً مقبلاً على  
الحياة ، راغباً في تعويض ما فاتته منها في التعاسة والشقاء ، كما شهدته  
أضاً ، وقد أصبح أكثر تسامحاً في علاقات العمل ، وأكثر رغبة في  
العشر بسلام مع الآخرين ، ثم مضت ثلاثه أعوام ، وفوجئت به ،  
وكأنه قد تحول فجأة إلى شخص آخر ، غير الزميل والصديق ، الذي  
عرفته من قبل ، ولأنه كان كئيباً بطبعه . . فلم أفهم سر تغيره ، ولكني  
لاحظت عليه أنه قد أصبح شديد الانطواء على نفسه ، لا يكاد يكلم  
أحد أو يقترب من أحد ، ولا يتحدث - إذا تحدث - إلا بلهجة شبه

باكية ، وكان من بين زملائنا بالأهرام ، زميل عاصر قصته من البداية مع حب عمره ، ولكنه كان في ذلك الوقت في أجارة دون مرتب من العمل ، ويعمل مستشاراً إعلامياً لمصر في إحدى دول الغرب ، ويبدو أنه قد كتب إليه في غرته ، يرجوه في أمر مهم لا اعرفه ؛ لأنه كان يترقب عودته لمصر في أجازته السنوية بلهفة شديدة ويعلق آمالاً غامضة على هذه العودة !

ولم أعرف تفاصيل هذه المرحلة من حياته ، إلا من هذا الصديق المشترك بعد ذلك بسنوات ، فلقد روى لي أنه رجع في أجازته ، فإذا بصديقها هذا يطلب منه - وهو يخنق بالألم والعدا - أن يتدخل بينه وبين زوجته ، التي هجرت بيت الزوجية فجأة منذ أسابيع ، ورحعت لأنها ، وأصرت على طلب الطلاق منه ، دون إبداء أية أسباب !

وقال له - بير ما قال - بلهجته الباكية : إسي مستعد لأن أحب كل طلباتها ، فإذا كانت الشقة صغيرة ، ولا تليق بها ، فإنني على استعداد لأن أبيعها وأبيع سيارتي ، واشترى شقة أكبر وأفضل ، وإذا كنت قد أخطأت في شيء معها ، دون أن أدري . . فإنني على استعداد ، لأن أعتذر لها عنه ، وأن أعدها بعدم تكراره ، وإذا كانت متعبة الأعصاب ، وتريد أن تنفرد بنفسها بعض الوقت . . فإنني على استعداد لأن أتركها مسكن الزوجية ، وأقيم في شقة أبي القديمة بصحة شهور ؛ حتى تسترد هدوء نفسها وأعصابها ، وإذا كان مصروف البيت الذي أعطيه لها قليلاً . . فإنني سوف أعمل عملاً إضافياً ، وأسلم لها كل مرتبي وأجرى

لإصاقي ؛ لفعل بهي ما تشاء . فقط أريدها أن تصارحني بما تذكره عني  
لأغيتها . واعتذر لها عنه ، ولكنها لا تكلم ، ولا تجيب عن تساؤلاتي ،  
ولا ترد عليها ، سوى بالبكاء لصامت الطويل ، الذي تختتمه بهذه  
الكلمات المحيرة ، التي لا أفهمها . وهي أن حيانت معاً قد انتهت عند  
هذا الحد . . . وأنها إرادة الله ، التي ينبغي لنا أن نرصرع هـ ، دون  
اعتراض ، وأنها تتوقع مني أن « أكرمها » بالطلاق ، دون إلحاح بالسؤال  
عن الأسباب ، كما أكرمتها من قبل بالاستجابة لرغبتها في الزواج !

واسمع الصديق المشترك لما قاله له صديقه حائراً وعجزاً عن الفهم .  
وزار زوجة صديقه في بيت والده . وسأله عن أسبابها لطلب الطلاق  
من أحبته وأحبها ؛ فأحسته بسيل من الدموع الصامتة ، ولم ترد عن أن  
قالت له إنها ترجوه بحق صدقته لزوحها ولأنه أن يقنع صديقه بالطلاق في  
أقرب فرصة ، دون إلحاح بالسؤال عن الأسباب !

وارداد الصديق لمشارك حيرة وتعجباً ، وكرر معها المحاولة مراراً  
وبكراراً ؛ حتى ضغط عليها ذات مرة بالسؤال : إنه يحبك ، كما لم يحب  
رجل امرأة من قبل ، أفلا تحبينه أنت كذلك ؟ ! .

فامجرت بالبكاء لفترة طويلة . ثم غمضت نفسها حيراً . وقالت له  
هدوء مريب . بل أحبه كما يحبنى ، وأكثر ، وم أحب أحداً سواه ، ومن  
أحب أحداً بعده . . ولهذا فإنني أريد الطلاق ! .

وبلعت الحيرة بالصديق المشترك قمتها ، وأراد أن يستعين بوالدها على

فهم ما استعصى عليه فهمه ، فأشاح الرجل عنه بوجهه قائلاً : « لا  
تشكونى فيما لم شريك فيه من البداية ، ولا تسلى عن أى شيء » .

ورغم جماء الرد . فلقد لاحظ الصديق أن لهجة الأب الارستقراطى  
المتكبر يخالطها شيء من الانكسار غير المفهوم ، ورجع إلى صديقه  
المتنظر بالخشية والألم . . ولم يملك إلا أن يصحبه بالاستجابة لطلبها ،  
عسى أن تراجع نفسها بعد حين ، وترجع إليه فى قادم الأيام ! .

واتفق الطرفان على إجراء الصلاق فى مكتب المأذون ، ادى جمع بينهما  
من قبل وروى لى الصديق المشترك ، الذى شهد على الطلاق ، أن  
أقدم الإجراءات كان مأساة مكينة بكل المعنى ، فلقد جلس الزوجان أمام  
المأذون ، متكئى الرأس داعمين ، فما إن بدأ المأذون حديثه التقليدى  
إليهما ، طالاً منهما مراجعة لنفس ، قبل الإقدام على الطلاق الذى هو  
أبغض الحلال إلى الله ، حتى أجهش الزوجان بالبكاء ، وحين تمالك  
الزوج نفسه بصعوبة ، قال للمأذون فيما يشبه الولولة قل لها هذا  
الكلام ؛ فهى التى تتمسك بالطلاق ، ولا تصارحنى بالسب ، فما إن  
حاول المأذون ان يتوجه إليها بالحديث ماشداً ، حتى عجزت الروجة  
الشابة عن احتمال الموقف أكثر من ذلك ، وانهارت معمى عليها ، وسد  
الرعب الجميع ، وأجريت لها الإسعافات لضرورية .

واستعادت لزوجته وعيها بعد قليل ، وقلت للمأذون إنها ترحوه ألا  
يعذبها أكثر من ذلك ، فنظر إلى الزوج مستأذناً ، وأشار له الروح

بموافقة ، وبدء المأدون مهمته الثميلة ، وانتهى مشهد الطلاق البائس  
بتدعيه الغربيه هذه ، وبدأت مرحلة جديدة ومريرة من حياة هــ  
رمبل القديم ، وازداد خلالها تفوقاً على نفسه ، وفوراً من الحياة .

وفي هذه المرحلة من عمره ، اقترب منى ، واقتربت منه كثيراً ، ولكنه  
لم يصرح بـ بدءاً بأحزبه وآلامه ، وليته كان قد فعل ، إذ لا التمسست له  
كل العذر ، فيى كان ينكره عليه بعض زملائه بالدست لمركى بالأهرام  
الذى كان عصوين به وقتها - من تور مكنوم وسرعة التهيج العصبى .  
استجابة لأى استفزاز ، وشدة نطواء على النفس ، حتى فسره البعض  
خطأً بالتعالى والكبرياء !

أم زوجته السابقة فلقد احتفت من حياته ، ومن مجتمع الـ  
مهاجرين ، وانقطعت أخباره عنه وعن الجميع ، وعجز حتى أقرب المقربين  
إليها عن تفسير سبب طلاقها من زوجها ، الذى أحبته واحترته دون  
غيره من الرجال . غير أن الأسرار لا يطول إحماؤه إلى الأبد ، مهما  
حاول أطرافها ذلك . .

ودات صاحب كتيب ، عرف صديقى القديم سر بصرار روحته على  
انطلاق منه والعودة إلى أبيها ، رغم اعترافها له بأنها مارالت تحبه ،  
ولا تنكر عليه شيئاً كروح وحب وشرىك للحياة .

فى ذلك الصباح ، قرأ الصديق نعى فتته الحمية الرقيقة بصفحة  
انوفيت بالأهرام ، ورأى صورتها تتصدر النعى المؤم الطويل<sup>١</sup>

ولست أعرف ماذا جرى له ، حين رأى نعى فتاة أحلامه فحد  
بالصحيفة ، التى يعمل بها ، بعد أقل من عامين فقط من طلاقه ها .  
ولكى عرفت من الصديق المشترك أنه أدرك فى هذه اللحظة فقط مد  
تمسكت فتاته بالطلاق منه ، وابتعدت عنه هائياً ، وعدت عن كل مكان  
يحتمل أن يراها ، أو يلتقى بها فيه .

لقد كان طلاقاً بدافع الحب والتضحية ، وليس بدافع البعص  
والكراهية !

فلقد اكتشفت بالصدفة وهى زوجة له ، إصابتها بالمرض اللعين ،  
وأدركت على الفور أن موارد زوجها لن تسمح له بالإنفق على علاجها  
منه ، وأنه سوف يشعر بالعجز القاتل تجاهها ، ولن تسمح له كبرياؤه  
بقبول مساعدة أبيها المادية له فى علاجها ، وتحمل بمقاته الدهشة ، فلم  
تجد مفرأ أمامها من أن ترجع إلى رعاية أبيها ، الذى ابتعدت عنه ، حين  
تزوجت فتاه على غير رغبته ، ليواجه بإمكاناته المادية وعلاقته ونموده  
محنة علاجها ، فرحعت إليه ، وصرحت له بمرصها ، وطلبت منه تكفه  
عن زوجها ، وحصلت على الطلاق .

وتفرغ الأب لمحاولة إقناذها ، واصطحبها لعلاج فى الخارج بصعة  
مرات ، وقضت معه بإحدى الدول الأوروبية عدة شهور ، أجريت لها  
حلالها جراحة خطيرة ، ثم انتهت القصة نهايتها الحريية ، وكان طسها  
الأخير من أبيها وهى فى آخر مراحل مرضها هو ألا يسمح لزوجها  
السانق بأن يراها ، وهى على هذه الحالة إذا عدم بحقيقة مرصها ، كم

طببت منه أيضاً أن يسمح له حين يحم القضاء بأن يقف إلى حوره في سراق لعزاء ، ليتلقى العزاء فيها معه ، لأنه وأبوها ، هما أقرب البشر إليها في هذه الدنيا الغادرة ! .

ولست أعرف من نفذ صديقى لقديم هذه الوصية المؤلمة أو لم يفعل . ولكى أعرف فقط أنه ومن ذلك الحين قد أصبح إنساناً آخر ، غير الذى كان ، وأن علاقته بالحياة والبشر قد تعقدت إلى حد كبير ؛ حتى وضعه بعض زملائنا بالدسك المركزى بالأهرام ، بأنه إنسان صعب التعامل معه ، وأنه من الأفضل للآخرين ألا يتجاوزوا معه حدود علاقة العمل المتحفظة ! .

وللأسف الشديد . فلقد كنت واحداً ممن استجابوا لهذه النصيحة القاسية ، وحفظوا في علاقتهم معه ؛ تجنباً للاحتكاك به ، بعد أن أصبح شديد التوتر وسريع الالتهاب لأى بادرة تعمل ، قد يسيء فهمها وقد أكسبه اطواره على نفسه وتقوقعه الشديد ، مظهراً كاذباً من التكر والاستعلاء ، ففر منه كثيرون ، وحل الصمت واجفاء المكتوم بيه وبين معظم من حوله ، ولو كانوا قد عرفوا سر تقوقعه وعزلته وفهموها حق فهمهم ، ما ظلموه ، ولما ظلمته فى أفكارى ولا لئمساً به جميعاً كل العذر فما تنعكس على تصرفاته أحياناً من توتر شديد ، وحاولت التخفيف عنه ، بدلاً من مضاعفة آلامه وأحزانه ، حتى لقد شكنا لزميلة لنا بالأهرام ربي كانت الوحيدة التى استراح إليها فى المرحلة الأخيرة ما يلقاه من حفاء الآخرين ، وتساءل بلهفته الباكية حثراً :

لا أعرف ماذا فعلت للناس ؛ حتى يسيئوا بى الظن دني ، ويسحسو  
التعامل معى ! .

ولم تنته هذه الدراما الإنسانية عند هذا الحد ، رغم كل ما شهدته من  
فواجع وغرائب وإنما جاء أيضاً فصل الحتام الدرامى ، الذى كست طرفاً  
فيه من حيث لا أدرى ، والذى مازلت أشعر بسببه ببعض الإثم تجاه  
هذا الصديق المعذب ، فلقد كان نظام الدسك المركزى بالأهرام الذى  
كنا نعمل به ذلك الوقت يقسم مسئولية الإشراف على طبقات الأهرام  
إلى ثلاث فترات ، تبدأ الأولى من الحادية عشرة صباحاً إلى الرابعة ، وتبدأ  
الثانية من الرابعة إلى التاسعة مساءً وتبدأ الثالثة من التاسعة إلى الثالثة  
صباحاً .

وقد كنت المسئول عن الفترة الوسطى فى ذلك اليوم ، وكان هذا  
الصديق القديم هو المسئول ، الذى سيتسلم منى الإشراف على طبقة  
الأهرام الثانية فى التاسعة مساءً حتى نهاية السهرة . ولظروف عمل  
طارىء ، كنت قد اضطررت لأن أبدأ عملى بالأهرام ذلك اليوم فى  
السابعة صباحاً ، وقضيت فترة الصباح حتى الرابعة مساءً فى أداء عمل  
كُلِّفت به ، ثم تسلمت نوبتى فى الدسك من الرابعة مساءً ، فما أن  
اقتربت الساعة من التاسعة ، حتى كانت قواى قد حارت تمام ،  
وترقبت بلهفة شديدة حضور زميلى هذا ؛ ليتسلم منى العمل ، وكان هو  
معروفاً بيننا بدقة مواعيده وشدة التزامه .

ولكن الساعة بلغت التاسعة ، ولم يظهر بعد ، ثم التاسعة والنصف



ثم العاشرة ولم يأت ! وحين بلغت الساعة الحادية عشرة مساءً ، كان  
لأعياء قد نبغ منى أفصاه ، وشعرت للأسف الشديد باحتمق على هذا  
لزميل الغائب ، وتصلت بلزميل مدير الدسك المركزى وقتها فى بيته ،  
لأهملى إليه الموقف ، وأبلغه أننى قد بدأت يومى من السابعة صباحاً ، ولم  
تعد بى أنه قدرة على الاستمرار فى العمل ، وإننى أحشى إذا وصلت  
العمل أكثر من ذلك ، أن أخطىء أو أفقد لقدرة على التركيز وحضور  
الدهن ، ثم أهيت حديثى إليه بأن زميلنا فلاناً ، لم يأت لاستلام السهرة  
منى ، وأن هذا أمر عريب ، لم يحدث من قبل من جابه ، أو من جاب  
أى زميل لنا ، ولابد أن هناك ما معه من الحضور ، وكفى أطيب بديلاً  
آحر الآن ، لاستلام العمل منى ، قبل أن أفقد المدرة نهائياً على  
العمل ! .

وتعجب الزميل لتخلف صديقى القديم عن موعد العمل كثيراً ،  
ووعدى بتدبير البديل فى أقرب فرصة ، فما إن اقترب الليل من منتصفه  
حتى كان زميل آحر لنا قد وصل مشكوراً من بيته ، لينسلم منى مسئولية  
السهرة ، وهرولت راجعاً إلى البيت ، وما إن بلعته حتى دخلت الفرش ،  
واستسلمت لنوم كالغيبوبة .

وكان اليوم التالى هو يوم الجمعة ، وهو يوم عطلتى الأسبوعية ،  
فمضيت فى البيت ، ولم أرحع للعمل إلا لاستلام نوبتى بالدسك فى  
لساعة الرابعة عصر يوم انست ، فما إن دخلت صالة التحرير بالدور  
الرابع من لأهرام ، حتى لاحظت أنها شبه خالية على غير لعادة ، وما

إن جلست إلى مائدة الدسك ، وبدأت تُقرأ عص « بروفات » الأحبار .  
حتى فوجئت بعدد كبير من لزملاء يدخون إلى الصالة واجمين ، وسألت  
عن الخبر ؛ فأحابنى أحدهم بأنهم عائدون جميعاً من وداع زميلنا الراحل  
الشاب فلان !

يا إلهى . . زميلى فلان ، الذى كان ينبغي أن يأتى مساء الخميس ؛  
ليتسلم منى السهرة ولم يحضر ؟  
وجاءنى الجواب : نعم .

زميلى فلان . . الشاب المملوء صحة وشيئاً ، والذى لا يدخن  
ولا يشرب ولا يسهر فى غير العمل ، ويحرص على أداء التمرينات  
الرياضية صباح كل يوم فى النادي ، ويجرى حول الملعب عشر دورات  
كاملة كل يوم ؟ .

وجاء الجواب كالصفعة : نعم !

يا ربى . . زميلى فلان . الذى شعرت - بالحماقتى وجهى - بالحق  
عليه ، لأنه قد أخلف مواعده معى ، وتركنى أواصل العمل من السابعة  
صباحاً حتى منتصف الليل . . يا إلهى لماذا لم أتصور أن هناك ما عاق  
حضوره فى مواعده ، أنه لم يكن له ذنب ولا حريرة فى تخلفه الاضطرابى  
هذا ؟ .

لقد ظلمته كما ظلمه غيرى ، وفاتنى حنى وداعه ، والاعذار له عن  
سوء ظنى فيه تلك الليلة مساء الخميس ، وضقت بنفسى وانهلت عليها

يومًا ونقرنًا ، وشعرت ببعض الذب تجاه هذا الزميل ، لذي عاش  
مظلوماً ومات مظلوماً ، وشاركنا جميعاً من حيث لا ندرى في مضاعفة  
آلامه وتعاسته . . . غفر الله له ولا عفر لنا أو سحننا ، فيما أسأنا إليه  
به .

أما تفاصيل مشهد الختام الأليم فلقد عرفتُها من زملاء فيما بعد . .  
فلقد استعد زميلي القديم للخروج إلى عمله عصر يوم الخميس ، ففتح  
دولاب ملابسه ، وأحرج القميص المكوي النظيف ، الذي سيرتديه  
ووضعه فوق فراشه ، ثم دخل إلى الحمام ، وملاً البايو باماء ؛ وغطس  
فيه ليستحم ويجدد نشاطه ، قبل الذهاب إلى لعمل ففاحاته - وهو  
الذي لم يمرص من قبل - نوبة قلبية قاتلة وضعت السطر الأخير في قصته  
مع الحياة ، أو مأساته معها ، وهاضت روحه الصاهرة المعبدة ، وهو في  
البانيو .

ولاحظ الجيران يوم الجمعة أن صوت التليفزيون مسموع في مسكه  
منذ ظهر اليوم السابق ، حتى في فترة انقطاع الإرسال ؛ فتشككوا في  
الأمر ، واتصلوا بالأهرام ليبلغوه بشكوكهم ، فأوفد لأهرام أحد محرريه  
إلى قسم الشرطة ، التابع له مسكه ، واصلت صديلاً وبعض الجنود  
إلى هناك ، ووجدوا اصالة مضاعة ، وصوت التليفزيون مسموعاً ، ولا  
أحد يحجب انداء ؛ فحطموا الباب ودحوا إلى المسكن ، فوجدوا صاحبه  
بين يدي ربه في بايو الحمام ، من اليوم السابق .

ولم يعرف أحد ممن شهدوا مشهد الختام الأليم ، وتأثروا به وبكو صاحبه إن هذا المشهد لم يكن سوى فصل اختتام الحزين في مأساة دامية من مآسى الحياة ، انطوت به صفحة هذا لإنسان المعذب ، بعد أقل من عامين فقط من انطواء صفحة شريكته في الحب والعذاب .

ومازلت حتى الآن كلتي تذكرت مأساة حياته وحبه ونهايته المؤلمة للطرفين معاً ، أشعر بالأسى لصديقي القديم ، وباللوم لنفسى لمشاركته من حوله في عدم فهمنا لظروفه ، وعدم التمسك الأعذار له في الوقت المناسب .

أفيكون هذا الإحساس بالذنب هو المسئول عن أنى لم أكتب هذه القصة المؤلمة . . رغم ما كتبت من ذكرياتى ، أم يكون الإشفاق من ألا يصدقها أحد ، هو سبب إحجامى عن روايتها

لقد قعت هذه الذكرى المؤلمة في الأعرق طويلاً ؛ حتى ضنت أنى قد نسيتها ، ثم جاءت « عبارة » زميلى العارضة فكانت بطاقة الدعوة التى استدعتها من غياهب النسيان ، وكان أن رويت له القصة الخريبة ؛ لأؤكد له أنه بحرى في الدنيا أحياناً ما يحرق في مآسى الأفلام الرومانسية الباعمة وأكثر ، وأن فتاة صديقى القديم هذا قد طببت الطلاق منه ، لكى ترفع عنه - وهى أدرى الناس بحساسيته - حرج ما كان سيشعر به من عجز قاتل تجاه تكاليف علاجها الباهظة ، واثرت أن تموت بعيدة عنه ؛ لكيلا يراها في مراحل المرض الأخيرة المؤلمة ، ونركت له بعد أن عادت الحياة العذاب والآلام ، فلم يطق البعد طويلاً عنها ، وحق .

بعد أقل من عامين ، وهو أكثر ما يكون صحة وفتوة وشباباً ! .  
فهل ترانى قد أقنعت صديقتى ، لدى نساءل متعجباً عن وجود  
أمثال هذه النماذج الشرية الجميلة والسلة فى الحياة . . بوحوده فعلا ،  
رغم كل ما يحيط بنا من قبح . . وأنانية ؟  
وهل ترانى قد اقنعتك أنت أيضاً بذلك ؟

مكتبة  
الشيخ  
مكي

## المعاني والأحاسيس

وهكذا كل الناس دائماً يا صديقي !

تجد منهم من تتحكم فيه مشاعره وأحاسيسه وفعالاته فلا يحس حب  
إذا أحب . . ولا ألماً إذا تألم . . ولا غصاً إذا عصب .

وتجد منهم كذلك من لا يسمح لغير أحكام العقر وحده أن تتحكم  
في مسار حياته كابت مشاعره وأحاسيسه في صدره . وقد يغنى كالمرحل  
من لداخل فلا ترى ثراً لذلك على وجهه أو سلوكه . وقد يحب  
فلا يفصح عن حبه . وقد يتعذب فلا يحس الآخرون بعذابه .

وبين هاتين لشخصيتين ينأرحح غالباً بقية البشر، وتختلف درجات  
سيطرة عقولهم على مشاعرهم ودرجات تمرد هذه المشاعر عن العقول .  
وتختلفون في ذلك ويتفاوتون . ونكسهم يتفقون في شيء واحد ، هو أن هم  
جميعاً مشاعر وأحاسيس يغلبونها فيسيطرون عليها في بعض الأحيان ،  
وتغلبهم فتسيطر عليهم في أحيان أخرى .

وفي هذه الأسرة الصغيرة الحثة . اجتماع المودحون وتفعلوا وتأثر

كل منهما بالآخر وأثر فيه ، فلأخت الكبرى فتاة جميلة متربة تجيد التحكم في انفعالاتها ، وتأخذ نفسها بالشدة دائماً فلا تسمح لمشاعرها وأحاسيسها بأن تتحكم في حياتها وعلاقاتها بالآخرين ، أم لأخت الوسطى فهي فتاة متأججة المشاعر والأحاسيس ، تتأثر بكل شيء ، وتنفعل به ولا تخفى انفعالاتها وأحاسيسها عن حوها .

وماذا يدعوهم في رأيها لأن تفعل ذلك والقلب غض والمشاعر بريئة ، والأحلام عادلة ومشروعة ، وبإراد تحلم فتاة في سنها وجهالها سوى فدرس القلب الذي يدك حصونه ، ويستأثر بها يغلي به مرحل مشاعرها ؟ أم الأخت الصغرى فطفة صغيرة ترقب الاثنتين ، وتتأثر بشخصية كل منهما بدرجات متفاوتة .

فإذا كانت الحبة قد تجهمت في وحه الأسرة الصغيرة بعد موت الأب ، واصطرار الأسرة للانتقال من بيتها الكبير؛ ليقيم فيه الابن الأكبر للأب من روجة سابقة ، وفقاً لقانون الميراث في مجتمعهم ، ففي تعاطف أفراد الأسرة فيما سهم بعض ما يعوصهم عن تجهم الحياة ، وفي قلوب الأهل أيضاً بعض السلوى وبعض العزاء ، فلقد قدم أحد أقارب الأم الأرملة لها بيتاً صغيراً في صيعة أخرى لتقيم فيه مع بناتها الثلاثة .

وجاء الابن الأكبر مع زوجته المتعجرفة ؛ لتسهم الست بكل ما فيه ، فلم تنس الروجة الغارية أد تحصى حتى الأدوات الفضية إحصاءً دقيقاً لتؤكد من وجودها كاملة قبل مغدرة الأم احائرة وبناتها الثلاثة للبيت ، أما وصية الأب لابنه الأكبر بأن يساند أخواته الثلاثة بمبلغ كريم كل

سنة ، بعد أن لم يبقَ من ولأهمهن سوى معاش سنوى بسيط ، فقد تلاشت في هواء أطماع الدنيا لعادرة ، وتحملت الأسرة الضئيلة ، وصر وصمت مشقة تحمهم السماء بعد سبق صفائها ، وأمضت الأيام الأخيرة لها في بيت الذكريات على مضض من أسرة الأح لا أكبر .

وَم تلمع في عيوم السماء خلال هذه الفترة لكثيية من حياتها سوى هذا الحجم اللامع على استحياء . . شفيق الروحة المتعجرفة الذى جاء إلى البيت قبل أن تغادره الأم وبنتها ، فحقق به قلب الابنة الكبرى وخفق لها قلبه ، وراقبت الأم والابنة الصغرى بذور المشاعر تنمو بينهما بأمل وعطف ورجاء ، غير أن شقيقته المتعجرفة ، صدمت أحلامها بحرصها على أن تؤكد لجميع بمطابقة أن أمها برحو له عروساً ارستقراطية ثرية ، وأنه لو حالف إرادتها في ذلك فليسوف تحرمه بلا تردد من ميراثها .

ويتسلل القسوط إلى القلوب الحريجة ، وترحل الأسرة إلى مقرها الحديد عى وعد من الشاب بأن يزورها هناك . وتلح الابنة الوسطى المتأججة دوماً بمشاعرها على أختها الكبرى بالسؤال عما جرى بينهما ، وهى صارحته بمشاعرها تجاهه ، وهل نالت منه وعداً دالارتباط . وهى يتمسك به ضد إرادة أمه المتعجرفة ، فلا تجد الأخت الكبرى جواً تشفى به غليلها ، فلقد أحته ما فى ذلك شك ، ولكنها لم تصارحه بالحب كعادتها في كتبان مشاعرها ، وقد أحبه لا جدال في ذلك ، غير أنه لم يجد الفرصة للاعراف لها بحبه . . وهى بطبيعتها المتحفظة تكاد



نكر على نفسها هذا الحب أو ترفض الاعتراف به ، وتنتظر أن تحيى  
المبادرة دائماً من الطرف الآخر .

وتصل الأسرة إلى بيتها الصغير ، وتتواءم بصعوبة مع حياة التقشف  
الحديدة . «وعقل» الأسرة المدبر هو هذه الابنة الكبرى الرزينة ، التى  
تمسك حسابات البيت ، وتحرم نفسها وأسرتها من بعض ما اعتادته من  
ترف في حياتها السابقة . ولا شىء يخفف عناء الحياة عنها سوى الأمل  
الصامت في قلبها ، أن يحىء المارس الذى وعد بالمحىء ذات يوم  
قريب .

وفي حية لأسرة الجديدة يظهر ذلك الرجل الشهم الذى يقيم  
بالحوار ، ويمتلك مررعة كبيرة يعيش فيها وحيداً مع أم زوجته لراحلة ،  
لقد حاء لترحيب بالجيران الحدد فحقق قلبه لرؤية الالة الصعري  
بشدة ، وأحها في صمت ، أما هى فلقد خفق قلبها مارس آخر من  
اجيران الحدد ، واندفعت وراء مشعرها ، وأعلنت للجميع حبها له  
وسعادتها بالقرب منه ، وراقبت الأم الحريئة الأمل المكتوم في صدر ابنتها  
الكبرى بإشفاق ، وسعادة انتها الصغرى لصاحبه بخوف من  
المستقبل ، أما الحار الشهم الجديد فلقد انطوى على حبه الصامت راجياً  
له السعادة مع من أحبه ، مكثياً بمراقبتها والانتهاح «الحزير» من  
أجلها .

ومضت الأيام بغير ان يحىء فرس الابنة الكبرى أو يبعث بكلمة ،  
وترامت الأساء بأنه قد ذهب إلى العاصمة ، وتناسى مر الفتاة التى

نعلقب به وتمته لنفسها ، وحاولت الأخت الوسطى أن تدفعها حتى للشكوى والأئين من صياح الحب وانعدام الأمل فيه ، لكنها كعهدها في التحفظ في إبداء مشاعرها ، تأنت في صمت ، كما أحبت في من قبل في صمت ، وكن أقصى ما باحت به حين ألحت عليها أختها ، أن قلت لها إنه لم يرتبط معها بخطبة ولا بوعد ، وليس من حقها أن تنتظر منه ما لم يعد به ، وحتى لو رجت ذلك ، فماداً في ظروفها الحريية ما يغرى بها شاباً مرموقاً كهذا الشاب ، وهي بلا مال ولا سند !

وبقدر ما أسفت ها أختها بقدر ما سعدت هي بحبها الصريح لفتاها الوسيم . . . وم يغب عنها أيضاً حب ذلك الجار الشهم لها ، فحملت له أيضاً بعض الأسف وكن الاحترام .

لكن القلب البريء تلقى هو أيضاً طعنة غادرة بعد قليل ، فلقد غادر الشاب الوسيم المنطقة كلها فحاة إلى العاصمة ، بغير أن يسر ها هجره المباغت ها سوى بأنه مضطر للسفر فوراً بلا عودة . وتصدع القلب الرقيق للغدر المفاجيء ، وأطبقت الابنة الوسطى لأحزانها العنان على عكس ما فعت شقيقتها حين تصدع هي الأخرى قلبها ، فبكت وانتحيت وولولت ومرضت ، ولكنها رغم كل ذلك لم تفقد حبها للفتى الوسيم والتمس له قلبها دائماً الأعذار !

وعبثاً حاولت الأخت الكبرى وحاول الجار الشهم المعبود بحبها الصامت أن يلفت نظرها إلى ما في سلوكه المباعع معها من خسة ،

تكشف عن حقيقة أخلاقياته ، فتمسكت دائماً بالثقة فيه ، ولأمر الخادع في أن تكذب الأيام ظنونها .

ولمعت في الأفق بارقة أمل جديدة في الإجابة عن التساؤلات الخائرة ،  
فقد دعتهي لسيدة العحوز والدة زوجة جار الشهم للسفر معها إلى  
العاصمة ، عسى أن تلتقى كل منهم فيها بالشاب الذي أسر قلبها .  
وسافر إليها وترددت افئتان على مجتمعات المدينة ، التي يظهر فيها  
الشبان ، فصدمت الابنة الوسطى صدمة مروعة حين التقت بفناتها في  
إحدى الحفلات ، فأقبلت عليه مشاعرها الخارقة فإدانه تتعامل معها  
بجهد شديد ، ثم ينسحب من أدمعها لينضم إلى مجموعة من سادات  
المجتمع ، تتأوى بينهن فتاة حملة تصع ذراعها في ذراعه .

وتتوالى الأنساء المؤلمة على الفتاتين المصدومتين ، وتعرف الابنة الوسطى  
أن فتاه الوسيم قد خصص هذه الفتاة الثرية لأنه قد فقد عمله السابق ،  
ولم يعد لديه ما يواحه به الحياة سوى ما روجة ثرية وتعرف الابنة  
الكبرى أن فتاه الحبيب كان مرتبطاً قبل أن يعرفها بسنوات بفتاة صغيرة  
وعدها بالزواج منها ، ولا يستطيع كيسان سبل إلا أن يحترم كلمته ويفي  
بوعده هـ ، حتى لو كانت مشاعره قد تحولت عنها الآن وبسبب  
إصراره على الوفاء بوعده لتلك الفتاة ، غضبت عليه أمه المتعجرفة ،  
وأوصت بكل ثروتها لشقيقه الأكبر .

ولم يتوقف الأمر عند ذلك الحد ؛ فلقد طهر في العاصمة أيضاً ذلك  
جار الشهم الذي يحب الابنة الوسطى في صمت وتأنم للفتاتين معا ،

وعلم بما جرى لمارس الأخت الكبرى ، فإد به يصلب منها أن تعرض عليه باسمه أن يدير ضيعة له بالقرب من منزل أسرتها ؛ ليستطيع مواجعة الحياة والرواج ممن وعدها بذلك . وتقبل الالة الكبرى أن تؤدي هذه المهمة الصعبة على نفسها وفاء لحب المحروم ، فتدعو فتاتها لمصاتها وتبلغه بعرض هذا الرجل الكريم ، ويدهش الفتى لعرض لسخي . ويتساءل متحيراً :

- ولماذا اخترت أنت باندات لكي تعالجنيني به ؟ فتجيبه وهي تضبط أفعالاتها المكبوتة : لأنه من أنك قد لا تقبه إلا إذا جاءك من « صديق » لك .

وترجع الفتاتان من لعصمة كسيرتي النفس والقلب ، وتعرض الفتاة الصغرى مرضاً شديداً ، تشرف فيه على حافة الموت قهراً وحرماً ، وتسهر على تمريرها أحبتها ، ويجرع حذر لشهم لما يحرق لفتة البرئة ، وبدل كل جهده لإنقاذها وعلاجها ، ويرهقه السهر لصويل وترجوه الأخت الكبرى أن يسرع فيجبه رافراً : قولي لي شيئاً أفعله من أحبها . . . وإلا أصابني مسُّ الجنون !

ثم تنحو الفتاة أخيراً من هوية الخطر ، وتبدأ فترة النقاهة الطويلة . وفي بيت لأسره بصل الأباء بأن مارس الابنة الكبرى قد شوهد في الجوار مع فاته التي تزوجها حديثاً ، فتجرع الفتاة الألم كعادتها في صمت ، غير أن تذرف دمة واحدة تمضح بها أحاسيسها

ويكشف الجار الشهم لفتاة الكبرى أسر الذي تعذب به طوال  
الفترة الماضية ورفض أن يزوج به ، خشية أن يسىء أحد لظن في دوافعه  
لدلت ، فعارسها الذي ملث عليها جماع قلها هو نفسه الوعد الذي عرر  
بالأية لمتبابة التي يرعاها ، وفر منها بعد أن ترك في أحشائها حين لغدر  
والخسة .

وتتعجب لانة الوسطى لس هذا الحار لشهم وقدرته على ضبط  
نفسه ومشاعره ، وتتأمل في صمت ، وهو يقرأ لها في كتاب الأشعار  
المفضل لديها ، وتعجب لنفسها كيف تعامت عن طوفان الحب الصادق  
الذي بحمله لها ؟ وتطور فترات اللقاء بينهما في فترة بقدهتها ، وينسج  
الفهم الهادي ، خيوطه بينهما ببطء وأناة ، بعد أن اكتسبت لأول مرة في  
حياتها بعض سمات شخصية أختها ، وتحلت عن بعض اندفاع  
مشاعرها . ثم يظهر على استحياء الفتى الآخر فارس الالة الكبرى ،  
الذي يقم الآن في احور ، ويدير ضيعة ذلك الرجل الكريم ، ويتقدم  
في حبل شديد من الأم والفتيات محبباً ، وناديه الابنة الكبرى ، التي  
يبدو كما لو كانت قد تخصصت في كبت المشاعر وعذيب النفس ،  
تهتته على زواجه من فتاة ورجائها له بالسعادة معها ، ويندهش  
اشب للتهتة ، ويتساءل حائراً عما تعنى بها وهو لم يتزوج بعد ، وحين  
تلغه لأسرة بأنه قد شوه في الجوار مع روحته الشابة ، بها حثها بأن من  
تزوج فتاته التي فقد كل شيء لإصراره على احترام وعده هو شقيقه  
الأكبر ونيس هو ، فلقد تحولت مشاعرها إليه بدلاً منه بمحرد أن فقد

ثروته . ولم يعد مطمعا لفتاة مثلها ، وتذهل الابنة الكبرى لما سمعت  
وتسأله بلهفة غريبة عليها : ألم تتزوجها ؟ أليست أنت الذى تروجها .  
أليست ؟ أليست ؟ اه . اه . ثم تنحصر باكية صرخة مولولة وتهمر  
دموعها لغريرة كالطر ! لقد سقط أخيراً حائز لأمواح الذى تقيمه دائماً  
أمام مشاعرها وأحاسيسها ليمسحها من الخروج إلى العدم ! . وأن ها الآن  
أن تفرغ كل المشاعر المكتومة فى صدرها وألا تحل من ضعفها ،  
ولا حتى من «فرحتها الماكية» لتحدد الأمل فيمن أحببت .

وترقب الابنة الصغرى شقيقتها برتياح شديد ، وهى تعبر للمرة الأولى  
بعموية وتلقائية عن مشاعرها الحبيسة ، وتشعر «بالسعادة» لها ، ليس  
فقط لعودة الحب المفقود ، وإنما أيضاً لأنها قد أطلقت العنان لمشاعرها  
وأحاسيسها ! وتنسحب الأم والفتاتان ليخلو المكان للحبيين ، اللذين  
فقدوا الطريق إلى الحب لفترة ثمينة من العمر .

وبتروح الفارس النبل فتاته اليزميه الهادئة ، وسعد القديس أخيراً  
بانتصار الحب . وتستقر مشاعر لابنة الوسطى أخيراً فى مرفأ دلت الرحل  
الشهم ، الذى تعذب بحبها الصدمت فترات طويلة

وتنهى هذه الرواية الرومانسية العذبة «لعقل والعاطفة» و المعانى  
والأحاسيس» كما يترجمها البعض ترجمة حرفية ، ولتى تقول لنا مؤلفتها  
الروائية الإنجليزية الشهيرة جين أوستن ( ١٧٧٥ - ١٨١٧ ) بعد أن  
أمتعتنا بأحداث روايتها الحميلة ، أننا جميعاً كهاتين الأختين ، منّا من  
يترك رمام أمره كله لمشاعره وأحاسيسه ، وقد تؤدي به غالباً إلى التعماسة ،

ومنا من لا يسمح لعير العقل وحده بأن يقود مجرى حياته ، فلا يبعد أن يفوده العقل الصرف وحده أيضاً إلى التعاسة وضيع فرص السعادة ، وأن الأفضل للإنسان دائماً هو أن يصنع من الاثنين معاً « العقل . والأحاسيس » مزيجاً معتدلاً يسلم إليه جماع أمره ، فلا يجرمه ذلك متعة العطفة الصادقة ، ولا يجرمه أيضاً حكمة لعقل الذي يقيه من عثرات الحياة .

فبأى وصفة سحرية يستطيع الإنسان أن يضبط مقادير هذا المزيح الصعب ندقة لضمير لنفسه متعة القلب وراحة العقل ؟  
وأى أمادتين تشعر أنت أن له «المقدار الأكبر» من هذا المزيح الصعب الذي يقود حياتك ؟

الشيء الآخر  
ملاحظتنا

## مذكرات الزوجة

يا إلهي . ماذا عساي أن أجيب به عن تساؤلاته امريرة ؟  
وبماذا يسعى لي أن أرد عليه . والأمر واضح وضوح الشمس .  
ولا يجتمل الحيرة ولا التساؤل ؟

ثم مر هو كاتب هذه الرسالة ، الذي يقو به يعرفني شخصاً .  
وكثيراً ما لتقي بي منذ أكثر من عشرين سنة ؟ وكيف تجمع الظروف  
يساً ، بعد كل هذه السنوات ؟ فيجد نفسه مضطراً لأن يتحدثني  
بشخصيته عني ؟

لقد كتب إلى رسالته بخط مرتخف ، يبدو على صاحبه لاضطراب  
وعدم التركيز ، حتى تعدر على - في بعض الأحيان - فهم بعض طلائع  
رسالته ، ولكن لسياق العام لمفصلة تكفل شرح ما صعبت على  
قراءته ، فمادا كتب إلى في رسالته ؟ . ومذا آثار تأملاتي فيها ؟

لقد كتب يقول : « الأخ فلان ! لا تتعجب من موداتي بك هذا  
القب ، لأنك أح بالفعل ، وعزيز على نفسي . وقد استعيت مراراً في فده



سعيدة من فترات لعمر . وتحدثنا طويلاً . ولعبنا معاً الطاوله  
هاندومينو، وكان من أصدقائك لدين يشاركوكما اللعب وقتها . فلان  
وفلان . . وفلان ! ونكس لم يلق منذ سنوات طويلة سبب رواجي  
ومشاعل الحياة ، وبسبب نشغالك أنت أيضاً بعملك واقطعك عن  
المتندي . لذي كان يجمعنا كل مساء لساعات طويلة . وقد تزوجتُ  
من ٢٥ عاماً ، وأعمل الآن وصيفة محترمة ، وزوجني يعمل أيضاً بوظيفة  
مرموقة . وتعدون سوية في نفقات المعيشة ، وإن كنت لا أعلم شيئاً عن  
حقيقته دخله ، ولا ما تحصل عليه من مكافآت وحوافز . وقد أجبنا  
أبناء . كبر بعضهم وقاربوا سن الشباب . . وميرال بعضهم في سن  
الطفولة ، وقد أحببت زوجتي هذه دائماً منذ تزوجتها وأخلصت لها ، ولم  
أحبها يوماً . رغم ما تعرضت له من معاكسات وإعراءات كثيرة من  
سيدات المجتمع . ومن زميلات لعمل . ورغم أي كنت قبل رواجي .  
فارس زمانه في المعمرات النسائية ، كمن ربما تذكر لو عرفت  
شخصي

كم أعقد دائماً على روحتي بكل ما في يدي من مال ، فإذا سافرت  
إلى الخارج ، رحعت إليها محملاً بكل علي وتيسر من الهدايا ، هدايا  
ولاولاد وسيت نفسي . حتى إن كثيرات من صديقاتها كن يحسدها على  
ما هي فيه من خير وما تلقاه من حسن معاملة من جاني .

وقد رصت عن حاسي وره حتى واطمأن حاسي لها خاصة ، وأبني  
أراه تؤدي كل لصوص في أوقاتها ، ثم حدث في بداية هذا الصيف أن

سافرت زوجتي وأولادي إلى المصيف مع أهلها ، واصطردت أنا للبقاء في البيت وحيداً ؛ بسبب ظروف عملي معترماً بالحق بالأسرة بعد أسبوعين ، وخلال فترة وجودي بالبيت وحدي ، فكرت في تنفيذ ما أردت تنفيذه منذ فترة ، وهو تعيير رقم التليفون ؛ لأنه يحدث كثيراً أن يرن التليفون وأرفع الساعة ، فلا أجد سوى الصمت ، وبحشت عن عقد التليفون القديم ، وقلّبت في أوراق زوجتي بحثاً عنه ، فعثرت بالمصادفة على أجندة صغيرة تصفحتها ؛ فإذا بها مذكرات شخصية كتبتها زوجتي على فرات متباعدة ، واستشار ذلك أهلي في فقرات صفحتين منها ؛ فوجدتها تتحدث عن أشياء عادية في حياتنا وحياة الأولاد وعملها ، وكتفت ببقراته منها ، وأهملتها ، وعدت للبحث عن عقد التليفون إلى أن عثرت عليه .

كرر وسوس الشيطان لم تدعني لنفسى ، ونساءلت منذ متى تكتب زوجتي مذكراتها هذه . . . ولماذا لم تشر إلى ذلك أبدأ في حديثها معي ؟ وماذا عساه أن تكون قد كتبت عني فيها ؟ صحح أنها أوراقي الخاصة ، ولا يجوز لي أن أطلع عليها ، مادامت قد أخفتها عني . ولكن ماذا يمنعني من أن أقرأها كلها ؛ لأطمئن إلى فدبرها لشخصي ولعشرتي لها ، خاصة وأنها لن تكذب على نفسها فيما تدونه من أوراق ، لن يطلع عليها سواها ؟

ولم أستطع مقاومة الإغراء أكثر من ذلك ؛ فأحرحت الأحدة مرة ثانية من مخبئها ، وحدثت في فراشي لأقرأها . ويتنى ما فعلت يا سيدي !

فلقد قرأت فيها عترافات صريحة ومريرة بأنها تخوننى مع ثلاثة أشخاص منذ ١٥ عاماً كاملة ، وقرأت فيها ما شاب له شعرى وابحنى له ظهرى من الانكسار . والقهر . والألم والخجل . فقرأت فيها متى كنت «مبسوطة» مع ذاك ومتى كانت «قرفانة» مى ! وكم مرة قبلها هذا . وكم مرة قبلها داك ! ومع وصف دقيق ومخجل لكل التفاصيل أما لأشخاص الثلاثة ، الذين مرّغت زوجتى كرامتى معهم فى التراب ، فلقد دخلوا بيتى جميعاً ، وطعموا من خيرى وفرضت زوجى صداقتهم عنيّ فرضاً ، وأحدهم زوج صديقتها الحميمة ، والآخر زميلها فى العمل ، والثالث متزوج ، وله أبناء ويعرض عليها الزواج فى حالة طلاقها منى . مع ثقتى التامة فى كذبه ، وعدم إخلاص نيته .

وقرأت هذه الأوراق السوداء ، ولم أتم ليلتها لحظة واحدة . . ولا فى الأيام التالية ذلك ، وقصيت عدة أسابيع لا أدم لأكثر من ساعة ونصف الساعة ، وقد لا أنام لحظة واحدة . لمدة يومين متتاليين .

وتعذبت عذاباً لا يدرك عمقه سوى من داق مرارة هذه التجربة القاسية ، وحرث ماذا أفعل معها . . هل أقتلها ، لكن ما ذنب سمعتى وسمعة أولادى فيما سوف يبالا من هذه الفضيحة ؟

هل أقدم هذه المذكرات للشرطة والمحاكم ، فتدخل روجنى السجن لمدة ٥ سنوات؟ ولكنها الفضيحة نفسها أيضاً والشنن العادح نفسه ، الذى سيدفعه بنائى حين يحملون عر أمهم ؟

وأخيراً قررت أن أواجهها بما عرفت . . . ورفضت اللحاق بها في  
المصيف ، كما كنت معتزماً من قبل ، وانتظرت عودتها ، وفردت بها في  
أول ليلة بعد نوم الأولاد ، وراحته بكل شيء ، فانهارت اهيراً كاملاً  
واعترفت بكل ما جاء في مذكراتها . . . وروت لي ما أعرفه وما لا أعرفه من  
حكاياتها ، وبكك بالدموع الغريرة . . . - دموع النحاسية بالطبع -  
وطببت مني الصفح . . . وقالت لي إن الله يعفر ويصفح . . . فلا يصفح  
العبد ، ويفقر هو أيضاً ؟

لكن هيهات أن أستطيع ذلك يا سيدى ، بعد أن خدعتنى كل هذه  
اسنوات ، وبعد أن خدعتنى بصلاتها وصيامها ، ولا أعرف ماذا أفعل  
معها ، فأنا الآن تُعَدَن . . . تعبان . . . تعبان ، وأسألك بحكم لصلة  
السابقة بيسا أن تشير علىَّ بما أفعل . . . وربى يأتى يوم ، أجد فيه  
الشجاعة والنقى بك ، وأصدرحك بكل شيء »  
وانتهت رسالة هذا الصديق المجهول .

وفي البداية فإني أقول له إن الخيانة هي عار الخائن نفسه ، ونيسة  
عار الضحية ، التى ارتكبت الخيانة فى حقها ، وإن أى إنسان مهما علا  
قدره قد يتعرض لمثل هذا الموقف الأليم فى حياته ؛ فلا ينبغي له أن يعقده  
ذلك ثقته بنفسه ولا بجدارته ، بأن يكون موضع الحب والتقدير والإكبار  
من إنسانة أخرى أو من الآخرين لأنه ضحية . . . وليس حنياً . . . والعار  
الحقيقى هو عار من لا يحفظ العهد ويخون الثقة ، أما الخطأ الحقيقى ،  
الذى قد يقع فيه من يتعرض لهذه المحنة القاسية ، التردد

فيما يفعل إراءها . . وفي يواحهه به من إحراءات ونصرفت ، فضلا  
عن لتحسب لطويل لعواقب ما تمليه عليه هذه الظروف النفسية من  
خطوات ، على أعزائه من الأثناء ، وعلى حياته الشخصية ، وسمعته  
وأوصاعه العائلية .

فالحق أن مثل هذا الموقف المؤلم لا ينبغي للإنسان أن يتردد أمامه  
طويلاً في اتخاذ ما يره من خصوات ضرورية لمواجهته به ، ومهما كان  
الظمن الذي يدفعه ، لأنه موقف لا يحتمل تردد «هاملت» إزاء ما كان  
يسعى عليه أن يصعبه ليثأر لشرف أبيه ودمه . ولأن التردد الطويل  
ولتحسب ارائد للعواقب ، يفتحان الباب عدلباً للتراجع وقبول الحلول  
الوسط . وقد ينهى الأمر بالإنسان إلى إيثار السلامة والقبول بالأمر  
الواقع ، حادعاً النفس بأن «الأحوال» سوف تتغير بالأفضل بعد ذلك  
وأن أخصء الماصى لن تتكرر ، وأن الصرف الآخر قد يدم ندماً صادقاً  
على ما فعل . وكل ذلك خداع للنفس ، أكثر منه قبولاً بمواجهة الموقف  
بما يتطلبه من شجاعة نفسية وأدية .

إن المقارنة بين استمرار الوضع العائلي الحالي مع « وعد » من الطرف  
الآخر بالامتنع عن أخطاء الماضي ، والقبول بضطراب الحياة  
الشخصية للإنسان بعد الانقصاب ، وتحمل تعاسة الأثناء بما تشهده  
حياتهم من قلاقل جديدة ، قد يميل بالإنسان في النهاية إلى القبول  
باستمرار الحياة ، مع هذا الطرف احائن ، لبس أملاً في حدية «لوعد»  
عدم تكرار لأخطاء ، وإبها عجزاً عن تحمل مخاطر التغير وتحمل

الأعباء النفسية لتساؤلات الآخرين عن سبب الانفصال ، ومقدسه نظراتهم إذا هدتهم عقولهم إلى تخمين الأسباب الحقيقية له ، فيكون هد العجر عن اتخاذ القرار المناسب - مهما كانت عواقبه - أكثر دافع لروحها عابثة كهذه الزوجة إلى الاستمرار في طريق العبث بشرفها وشرف زوجها ، طالما أنها أمنت رد الفعل الردع من زوجها

وانتسامح في مثل هذه الحالة اصارحه من العبث والاستهتر ، اسي تخون فيها زوجة زوجها مع ثلاثة أشخاص دفعة واحدة ، ومدة ١٥ عاماً ، لس من الفضائل ، ولا هو من صالح الأسرة أو الأبناء ، كما قد يحول المرء أن يبرر لنفسه - أحياناً - عجزه عن اتخاذ القرار احسم معها ، لأن لأفعال الإنسان دائماً ثمناً ينبغي له أن يقبل به ، ويؤديه صاغر ، وعقاب الزوجة العابثة الماجنة ، التي تسلم نفسها لثلاثة أشخاص ، لا يكون بالأخذ معها بمبدأ الصفح والمغفرة ؛ بحجة أن الله يعصر الدوب جميعاً لمن يشاء ، كما يردد دائماً أهل الخطيئة المتكررة ، وكأنها لا يعرفون ربهم إلا حين ينعلون نواسع مغفره - جل شأنه - لدجاة ، ي يستحقون من عقاب عادل ، وإنما بمبدأ مسئولية الإنسان عن كل أفعاله ، ويتحملة نتائج هذه الأفعال والأخطاء .

وفي مثل حالة هذا الصديق المجهول . . . فإنني لا أنصح به - لتسامح مع زوجته العابثة هذه ؛ لأنها ليست زوجة ، ضعفت ذات مرة أمام رجل آخر ، واعتصمت بروحها وأبنائها ؛ حتى تعلت على صغفها وواصت مسيرتها مع زوجها . . . وإنما هي زوجة غاصب في الوحل .

حتى الأعماق . وهى تعى ما تفعل . وكررت جريمتها ، مع ثلاثة  
أشخص متتاليين ، أو متعاصرين مع بعضهم البعض ، مما يؤكد أن  
الندم الصادق الذى فتح ما باب التوبة والمغفرة ، ليس ورداً ولا مرجحاً  
فى حالتها . ولرعى التسامح معها ، إلا تشجيعها على الاستمرار فى  
عبثها . بعد حين كما نرى يعرف روحها راحة القلب لحظة واحدة معها .  
إذا واصل حياته معها ، وسوف يطاردها دائماً بشكوكه وظنونه ، حتى  
ولو كفت عن العبث ، وسوف تقلب حياة الأسره إلى حليم ، وتتحه  
إليه هو أصابع الاتهام بالمسئولية عن هذا الحليم . وليس إلى الزوجة  
الغدرة . كما قد يصح هذا الحليم نفسه هو مررها النفسى « المقبول »  
لديها : لأن تبحث لنفسها عن التعويض لعاطفى « والحسد »  
الملائمين لها ، خارج دائرة الزوجية .

ولهذا كله . فإننى أنصح هذا الصديق المجهول بأن يواجه أقداره  
بشجاعة ، وأن ينفصل عن زوجته بهدوء ، ودون إثارة أية اهمات ،  
نفس شرفه وسمعته وسمعة أنائه ، وأن يحاول تبرير لذلك لأبنائه .  
بأسباب لا تمس شرف مهم ، ولا إخلاصها : لكيلا يهر رمز الأم فى  
مخيلتهم ، وإنما يكفى حدّاً أن يقول نكل من حوله أن الحياه الزوجية  
بينهما قد فسدت لأسباب عديدة ، وأنه من الأفضل للطرفين أن ينفصلا  
بهدوء واحترام ، ويستمررا فى رعاية الأبناء - على البعد - وعلى أمل أن  
يجمع شمل الأسره فى المستقبل ، إذا رالت الأسباب ، التى دعتهم إلى  
الانفصال .

ولا مفر من ذلك ، فهى ضريبة لابد أن يتحملها الروح المحدود .

وُثمن عادي لا بد أن تدفعه الروحه لعاشة ، لكي تدرك هول الخرائم التي  
رتكبتها في حق زوجها وأبنائها ورجلها ونفسها ، ولكي تسلم أيضاً بأن  
كل شيء ثمناً واحداً السداد ، ولتكن لها في معدة أبنائها وتعاسنهم  
هد لا انفصام ، حير دفع لإقناعها بأن العث لا يقدر ، وأنه من  
الأحرى بها أن تندم ندماً صادقاً ، وليس خادعاً ، عما كان من أمرها  
وتبدأ صفحة جديدة من الالتزام الحلتى والندى في حياتها ، سواء  
أعادها زوجها إلى عصمته أم لم يفعل .

ولنر بعد ذلك ما سيكون من أمرها . . وهل سيتروحها حقاً لشخص  
الآخر ، الذي وعدّها بذلك ، أم سيتخلى عنها بعد أن فقدت طريقها  
بالنسبة إليه وتحولت إلى عبء يهدد استقرار حياته لزوجية ، ولير أيضاً  
هل استوعبت الدرس ، بعد أداء الثمن العادي . وكفرت عن جرائمها  
اتكفير الكافي ، لكي يعيد زوجها النصر في أمرها ، ويقرر ما إذا كنت  
ستحق فرصة أخرى معه من أجل أنائه ، أم لا تستحق ؟

أم الساهل الآن والإسراع بالصفح والمعصرة دور أن تدفع الزوجة  
العاشة ثمن عادلاً لعشها ، فلن يعنى سوى أن تفضى مع زوجها الطيب  
هذا فترة من « الكمون » والالتزام لا صطراى تعدياً لإثارة شكوكه ، كما  
يفعل المحرمون ، حين يشعرون بملاحقة الشرطه لهم ، فيكمون مؤقتاً عن  
ممارسه نشاطهم ، ثم لن نلبث طبيعتها لمستهره أن تعلبها على أمرها ،  
وتروح بها بعد حين إلى مغامرتها ، فلا يكون ما استفادته من أخطاء  
الخاصي ، سوى درس واحد فاسد ، هو : ألا تكتب مرة أخرى  
مذكراتك ، وألا تسجل على نفسك خطاياها وحيثياتها !





## لا تصعدى السلم

فانها ها لسكرتير استجهم مشفقاً ومخذراً ، وهو يسد عليها الطريق  
لا تصعدى السلم يا ابنتى . وعودى من حيث أتيت . . إن هـ  
أفضل لك . . صدقيني !

لكنها لم تسحب لصدحه . فأفسح ها الضرب قبطا .  
وصعدت السلم والتفت به . فكأت لتبحه أن احتاحت إلى عشر  
سنوات من العمر ؛ لكي تجد في نفسها القدرة على أن تهبط درج هـ  
السلم نفسه ، وتخرج من حية ذلك القدر لعقرى ، الذى شُغفت به  
حداً .

وحين وجدت القدرة على ذلك ، كانت قد أحب منه طعنين ،  
ونحوت إلى إسنة أخرى ، غير تلك لفتاة الحميلة الساذجة ، التى  
التقى بها مصادفة ، ذات مساء فى أحد المطاعم

ومع ذلك . . . . . فهى ليست نادمة على أنها لم ترجع من حيث جاءت ،  
كما طلب منها لسكرتير استجهم أن تفعل ، ولست نادمة على السنوات  
لعشر ، التى صاعت من عمرها . وهى تعيش بحوره ومن أحله ، بل

١١٠ على لعكس من ذلك مَدِينَةٌ له بهذه السنوات العشر ، لتي خَبرت  
حالاتها أحاسيس ثرية وعميقة ، وتعلّمت فيها أسرار الحياة وحب  
والفن ، ومدينة له أيضاً بأها قد تعمّت معه ، كيف تصح في النهاية  
امرأةً مستقلة ، لا تعتمد على أحد في حياتها ، سوى على نفسها !

هذا هو باختصار ملخص قصة هذه الفتاة الفريسيه الجميله  
فراسواز، مع ذلك لمتان العبقري المحتون بيكاسو (١٨٨١-١٩٧٣) ،  
وهي أيضاً قصة كل فتاة وكل إنسان يوشك أن يخطو الخطوة الأولى ، في  
طريق وعد بالعدب والمعدة ، ومع ذلك فهو يجد نفسه مدفوعاً  
للمضي فيه ، رغم نصح الناصحين .

فقد التقت به مصدفة في أحد المطاعم بارس ، وهي مع صديقة  
ها ، وزميل درس للفن ، وحاء بيكاسو مع شله من أصدقائه ، وبينهم  
« دورا » آخر صديق الحب معه ، وحيّا بيكاسو لفتاتين وصديقهيه  
الذى يعرفه ، وجذبه جمال هذه الفتاة الصغيرة التي تبدو مسحورة به ؛  
فقد هدى عن الفور إلى وجهها جميل ، وإيه قد رسمه في لوحاته من قبل أن  
تولد أو يراها ، وكانت هذه هي تيمته السحرية لاجتذاب اهتمام من  
تعجبه من الفتيات ، أم تسميه الأخرى فهي أن يدعوها لرياره في بيته ؛  
لترى أعماله لفية ، ولقد دعاها بالفعل ، وتوجهت إليه الفتاتان في اليوم  
التالى ، فستقبلهما الفنان الكبير بحرارة ، وطاف بهما أرجاء مرسومه ،  
والمح لفتاة لمسحورة به بأنه سوف يعطيها دروساً خاصة في فن حفر ،  
إذا رجعت اليه وحدها عداً ، وانصرفت الفتاتان والصديقه تحذر

صديقتها من أن تستجيب لدعوته ، وتذهب إليه في اليوم التالي . لأن من تقترب منه لا تفلت من شراكه . ولا تنجو حياتها من الاضطراب .

لكن الفتة لم تستجب لنصيحة صديقتها ، ورجعت إليه كأنها تسير مومة إلى أقذارها ، وفتح لها باب المسكن سكرتيره المتجهم ، وسدَّ عليها طريق السلم الصاعد للدور الأعلى ، حيث يقبم الفنان ، وهو يهمس لها أن ترجع من حيث جاءت ؛ إشفقاً عليها من تكرار القصة . التي شهد عشرات مثلها من قبل ، فتعزف عن نصيحته شاكراً وتصعد إليه ؛ فتبدأ قصتها معه !

وبعد أيام . . يطلب منها الفنان الكبير أن تنقل حاجياتها إلى بيته ؛ لتقيم معه إقامة دائمة ، ولكنها تردد في الموافقة . لأنها تعرف أنه مرتبط بفتاة أخرى اسمها « دورا » ، ويلح عليها لمعرفة سبب رفضها ، فما ان تصارحه به حتى يأخذها من يدها إلى بيت دورا ، ويقول لها إنها ترفض الإقامة معه بسببها ، وهو يريد منها أن تقول لها إنها لا تعترض على ذلك ! ، وتؤكد لها دورا إنها لا تعترض على إقامتها معه ؛ لأن قصتها هي مع بيكاسو قد استوفت كل فصولها ، ولم بعد هنت من مريد ، فإذا كانت تلبى دعوته للعشاء معه من حين لآخر في أحد المطاعم ، ولأن هذا الرجل الساحر ، لا تستطيع امرأة ارتبطت به أن تكرهه ، بعد انتهاء قصتها معه .

وتقبل الفتاة أحياناً الانتقال إلى بيته ، وتحذرها حذتها الثرية العطوف من صحبة هذا لفنان المتمرد ، وتقول لها إنه يحطم النساء اللاتي

عرشهم ، فصممتهم حفدتها إلى أمها من تسمح لأحد بأن يحطمها ، ولو  
كان بيكاسو نفسه !

وتستقل معه إلى بيته الصيفي في جنوب فرنسا ، وهناك تداهمها الحمرة  
لأولى والأحيرة نوبة من المخاوف ، ومراوحة النفس ، فتسلس وهو  
نائم ، حامية حقيبتها ؛ لئلا يرجع إلى باريس ، ويصحو الضان الكبير من  
ومه ، فلا يجدها بجوارها ، ويخرج للبحث عنها فيجدها على الطريق ،  
سحت عن سيارة نقلها للعاصمة ، ويعيدها إلى القرية ، ويتجه بها إلى  
كنيسها ، ويطلب منها أن تركع أمام هكل ، وتردد هذا القسم .

- أقسم على أنى أحب بيكاسو وسأضل أحبه ، ولن أحب أحداً  
سواه إلى الأبد .

وتردد القسم بإخلاص وتعجب هذا التصرف الغريب منه ، وهو  
الذى نعرف عنه إخائه لكمين . ويفسر لها هو هذا التناقض ، بأنها  
تؤمن بالكنيسة ، وهذا هو قسمها يلزمها بمقتضى إيمانها ، وليس إيمانه  
هو .

وتستسلم احببة الحديدة بعد ذلك لأقدارها بلا مقاومة ، وتعيش له  
ومعه ، ومن أجله ، كان في الرابعة والستين من عمره وكانت في الثانية  
والعشرين من عمرها . ولكنها كثيراً ما شعرت أنه أكثر شباباً واطلاقاً  
وحيوية منها ، وأنها أقرب في ضررتها للحياة إلى نظرة اشويو ، منها إلى  
نظرة الشباب .

فهو يفعل ما يريد . . . ويستمتع بما يريد الاستمتاع به دون توقف أمام أن  
عبرت ، ولا يرد نفسه عن رعه أو معامرة ، ولا يتميد قيود المصهر ، أو  
المكابة الاجتماعية ، أو الشهرة ، أو أى شيء .

يصبح من نومه ذات يوم مكتئباً لإحساسه المفدحى بأن موهبته الخفية  
تندهور ، وأن عمله يسوء يوماً بعد يوم ، فرفض معدرة الفراش وتناول  
الإفطار ، ويظل راقداً في فراشه مفنوح العينين صامداً ، وعشرب من  
بحار البوحات الضية وانقاد وانعجب يتجمعون أمام غرفة نومه في  
تطوره ، وتحاول فرسوار ، وسكرتيرة اصصامت ، ومدبره بينه العطوف  
كل الحيل - حثه على مغادرة الفراش ، ليلتقى بزوره ، ويستعيد حيويته  
.. فتستمر المحاولات من لصاح حتى الثيبه بعد الظهر ، قل أن  
نحج لمحاولات ، ويتناول إفصاره في الفراش ، ويفتنع بها بقوله له  
فراسوار من أن عمله يرداد عمق وقيمة ، ولا يندهور كما ي تصور \*  
فيسألها في لهفة :

أتصين ذلك ؟ فتؤكد له إيجاباً به ، فيستعيد حيويته فجأة وبهص  
من الفراش ، ويخرج إلى حيث يتجمع الزوار ، فلا يخرج إليهم كما جرح  
نئ مصيف عادى إلى صيوفه ، وإلى يخرج إليهم بطريقة مسرحية ، وهو  
نفع في السوق ، كما يفعل الخود في المعسكرات ، لتسبه لالحرس إلى  
خروج القائد أو دخوله !

ثم يقبل بعد ذلك عن ضيوفه ورواده بحيوية سديدة ، مخيلاً هذا .

ومد عباً داك . . وكأه شخص جديد ، غير الذى كانت الكاة تقته فى فراشه منذ ساعات !

وفى كل يوم تكتشف فرانسواز شيئاً جديداً فى حية هذا الفان ،  
الوهمى الكبير ، فتعرف أن له ابناً فى سن اشبب من روحته الأولى  
والوحيدة ، التى تروحها فى شبابه عام ١٩١٧ ، وكانت راقصة باليه  
روسية ارستقراطية ، أحبها فى البداية ، وتزوجها وأنجب منها ، ورسمها  
فى لوحات عديدة ، ثم ضق بها وبغيرتها الحنونية عليه وإزعجها  
المستمر له . فبدأ يرسمها فى لوحاته امرأة بعين واحدة أو امرأة  
مشوهة لوجه ، كعدته حين يضيق بامرأة ، ثم انفصل عنها ،  
فتحولت إلى شبه مجنونة ، تطارده وتلاحقه بلعناتها وسببها فى كل حين ،  
وهو لا يأبه له .

وتعرف فرانسواز أن انه الشاب لا عمل له إلا اللهو ومطاردة  
الفتيات ، وأن أباه يقول عنه إنه لا يصح لشيء ، ومع ذلك فلابن مغرم  
بأبيه ، ويمحر بأنه ابن بيكاسو العظيم ، ويتحمل ثوراته عليه ، وتأنيه  
له بحب وامتنال ، ولا يطيق البعد عنه !

وتعرف الفتاة العاشقة أيضاً أن لحبيبها ابنة فى التاسعة من عمرها ،  
تعيش مع أمها فى بيت ، يتحمل الأب كل نفقاته ، ويزوره بيكاسو فى  
عطلة نهاية الأسبوع ليمضى يوماً مع ابنته وأمها العاشقة لمثيمة به ،  
والتى تقل لكل نزواته وتتغاضى عنها ، لاقتناعها العميق بأب «الأولى»

في حياته ، مهما كثرت حوله الفتيات ، وتكتب له كل يوم رسالة حب ،  
وتقنع منه باليوم الذي يقضيه معها ، ومع ابتتها كل أسوع .

وتنجب فرانسواز من حبيبها طفلاً ، ويتعلم الطفل المشى : فتصارح  
رحلها بأنها تريد لابنته أن تعرف أخاها ، وتطلب منه أن يدعو ابنه وأمها  
لزيارتهم ، ويعجب بيكاسو للعلاقة السلمية التي شئت بين المراتين ،  
ويقول لها «غاضباً» إنها ليست امرأة حقيقية ؛ إذ لو كانت كذلك لقاتلت  
أم الطفلة ، بدلاً من أن تصادقها !

ويروى لها أن هذه السيدة الوديدة ، التي أحبت له طفته قد قاتلت  
«دورا» ؛ حين ظهرت في حياته بعدها ، وتصرعت معها من أجله ، في  
حين راح هو يواصل رسم إحدى لوحاته في هدوء ، ناصباً يده من  
عراكهما !

لكن فرانسواز لا تفعل ما يتصور أنه ينبغي لكل امرأة تعرفه أن  
تفعله ، وفي كل يوم تتعم شيئاً جديداً وتكتسب خبرة ثمينة بالحياة .  
فتعرف أن السكرتير العامض ، الذي حاول إبعاده عن بيكاسو في  
البداية ، يشكو من قلة الأحر ، الذي يعطيه له محدومه ، ومن عدم  
تنفيذه لوعوده المتكرره له بأن يهبه إحدى اللوحات التي رسمها له ، لكي  
يحتفظ بها للتاريخ أو يبيعها ويستفيد بثمنها ، حيث مازال يعيش في  
غرفة على السطح مع زوجته .

وتسأله فرانسواز مشفقة : ولماذا لا تتركه إذا كان لا يعطيك الأجر  
الكافي ؟



وبجيتها السكرتير في قنوط . لكيلا اضطر إلى ضعف جرس باب مسكه ذات يوم ، فيفتحه لى شخص آخر ، ويقول إن السيد بيكاسو مشغول ، ولا يستطيع استقبالك ، ولكى أطن مستمتعاً بلقدر الضئيل من الصداقة ، الذى يمنحه لى !

وتدرك الفتاة أنه هو الآخر من «أسرى» هذا الفنان العبرى مثلها . وأنه لا يطيق اسعد عنه . وإن شك منه فى بعض الأحيان ، مثله فى ذلك مثل سائق سيارته . . . وأم طفنته ومثلها هى نفسها ، وتتأكد لديها الفكرة التى كونتها عنه ، وهى أنه بشخصيته الطاغية الجذابة ، إنما يحول كل أصدقائه إلى «أسرى» أو «عبيد» له ، وتصارع بيكاسو بذلك ؛ فيصححها لفكرة بأنهم أسرى بلصداقة أو الحب ، ولسوا أسرى شخصيين له !

وتتصى السنوات ، وهى تعيش فى كنفه ، وفى عالمه . وقد انقطعت صلتها نهائياً بأبيها الثرى الارستقراطى ، الذى عترض على دراستها للفن مداسدايه ، ويزكها شأن حين أصرت على اختياره

ومن حين لآخر ، ترور جدتها العظوف التى تعطيها بعض المال ؛ تسقى منه على نفسها ، لأن بيكاسو العظيم لا يعطيها مصروفاً شخصياً ، وإن كانت قد بدت تكسب بعض النقود من بيع لوحاتها إلى حواره

وتكشف فراسوار حواش أخرى لشخصيه العبرى المجنون ، منها : علاقته الحميمة والغريبة بالرسم الفرنسى الكبير المعاصر له ، هيرى ماتيس ، وهى علاقة عيرة وتنافس واحترام واقتناع متبادل ، من جانب كل منهما بعبرية الآخر !

من احوال التي اكتشفتها فرنسواز - كذنت - أن العقري الإسباني  
وأم - للدهشة - سحر الأسود ، ولا يأمن أحداً على قص أطافه  
وشعره سوى «أسيرته» لقديمة أم طفلة ؛ فتقص له أطافه وشعره ،  
وتحتفظ بها فسته في «أحرار» محكمه ، لكيلا تقع في يد أحد الخصوم ،  
فيستخدمها ضده في السحر الأسود !

ومها أيضاً أن الفنان الممرد الذي يبدو للأحرار أنه لا يرتبط بعهد  
الوفاء لأحد ، وفي ما يفعل لناحر اللوحات لألمني الأصل ، الذي  
يشترى لوحاته مدد ٣٥ عاماً ، ويفصله على غيره ممن يتهاون على شراء  
لوحاته بالملايين من تجار الفن الجدد في أمريكا وأوروبا ، ويعسر ذلك  
لفرانسواز أن هذا التاجر كن يشترى لوحاته ، حين كان الآخرون  
يصبقون في وجهه !

ومها قدرته الجسدية الكبيرة على أن يقف أمام لوحة يرسمها لمدة تسع  
ساعات متواصلة ، بلا طعام ولا شراب ، ولا شيء سوى سيحارته  
المشتعلة باستمرار !

ومها كذلك ولعه العريب بأطفاله ، وهم أربعة منهم ثلاثة غير  
شرعيين ! ولكنه رغم ذلك معرم بهم ، ويبدو بهم كالطفل الكبير ،  
يشاركهم ألعابهم ، ويتفوق عليهم فيها .

ثم نحن الهية ، وتنقي فرنسواز ، وهي في البيت الصيفي للفنان  
الكبير بأرحين جدتها عن الحياة ، فتقرر العودة للعاصمة لترسيه

لوداع حدها الوداع الأخير ، وترجع حياتها ؛ فتجد نفسها راعية في أن  
تقيم بباريس لفترة طويلة ؛ لكي ننحو أسوأها بمدارسها . وتعيد  
التفكير في حياتها كلها ومستقبلها ، وتعلم ليكاسو ذلك فيغضب  
وينهار . . . ويبكى ويولول . . . ويتوعد بأنها لن تستطيع أن تبني لوحة  
واحدة بعد انفصالها عنه . وأنها سترجع إليه جاثية على ركبتيها ، بعد  
أسبوع واحد ، وتتحمل فرانسواز ثوراته ونكائه الصاحب في صمت  
وهدوء .

لقد عقدت عزمها على أن تصبح فتاة مستقلة ، وليست تابعة لأحد ،  
ولا خاضعة لتأثير أحد عليها ، ولم يعد هناك من يستطيع أن يعير  
قرارها . . . لقد تحررت من «الأسر» ، وآل لها أن تحيا كأمرأة مستقلة ،  
وليست «مُسْتَعْمرة» من أحد ولو كان بيكاسو ! وترجع إلى باريس ،  
وهي تعد سحرها القديم بأن ترحع إليه في إحارة نصف العام الدراسي ؛  
لكي يرى الأطفال أبهم ، وتفي بوعده ، وترجع إليه بالفعل ؛ فتجد  
فتاة إسبانية صغيرة وحميلة ، قد حلت محلها في حياة بيكاسو ، أو في  
تساك العنكوت ، التي التصقت هي بها من قبل عشر سنوات كاملة .

وتتعجب لسحر هذا الرجل ، الذي لا يفتأ أن يحذب إليه باستمرار  
مريداً من الفتات الحميلات ، وتعتذر بأدب عن رحائه ها بأن تعود إلى  
حياته مرة أخرى ، ونعذر بيته الصيفي بعد العطلة ، عائدة مع أطفالها  
إلى باريس ، وهي أكثر ثقة في نفسها ، وفي قدرتها على مواجهة الحياة ،  
وأكثر إحساساً بالعرفان هذا العبقري المجنون ، الذي علمها أسرار

الحب والحياة والفن والجمال وكل شيء ، وعمتها فحريتها معه ؛ من حيث لا يقصد كيف تصبح امرأة مستقلة بداتها ، ولقد دفعت فرانسوا ١٠ سنوات كاملة من عمرها ، مقابل ما تعلمته ، وما شعرت به من أحاسيس جديدة عيها ، وما خاصته من تجارب ثرية ، ومشحونة بالخبرات الإنسانية والانفعالات .

ولكنها ليست بادمه على التجربة ولا على ما دفعته من ثمرها .  
فهي ليست مع الشاعر حين يقول :  
- لو كنت أعرف خاتمتي . .

ما كنت بدأت !

وإنما كنت على استعداد لأر «تبدأ» ، رغم أنها تعرف «الخاتمة» من قبل ابدية ، «ورثتها» في وجوه الجميلات السابقات ، اللاتي دحس حياة هذا الفنان العبقري قبلها .

أما نحن فإنا لا نملك ترف عدم الدم على تحاربنا الفاشلة ، لنى استهلكنا فترات ثمينة من العمر . وانتهت «الخاتمة» غير المرضية لنا ، وإننا نتعذب بالندم ، كما نتعذب بالتجربة غير السعيدة نفسها ، ونتمنى لو كنا قد سمعنا نصيح الناصحين ، ولم نصعد السلم ، ولم بدأ لتحرنة ، التي رأى كل من حولنا أنها سوف تمدها بالعناء ولم ير نحن للأسف سوى رعبنا فيها ، وضعف أدمها ، فلم نحصد بعد ذلك سوى الندم !





## ظل من الماضي

نعحي رى لفيلسوف الفرسى هنرى ربحون فى أن لمستفل يسر  
دائماً نتيجة الية للماصى ، وأؤمن للمثال ، الذى ضربه بدك ، حين قال  
إن اوعط حين يرثى راحلاً ، ويعدد صفته ، فإنه يستصيع أن يقو  
أن هذه السمة أو تلك فى شخصيته ، كنت من أثر البيئه التى نشأ  
فيها ، وأن هذه أو تلك قد ورثها عن أبيه أو عن أمه ، وأن هذه أو تلك  
قد اكتسبها بالتعليم أو بخبرة الحياة . . إلخ .

وأنا شخصياً ستعين بهد الرأى على إفسح من يتحورون من إنسان ،  
برون فى ماصه ما شككهم فى صدق لرامه الأخلاقى فى لوقت  
الحاصر ، وأقول لمن يستشبرى فى ذلك إن الإنسان لمعمل "تاريخ" ،  
وليس موقفاً عابراً ، وإنه ينغى لنا كى نحكم عليه حكم صادق ، ن  
نلم "بتاريخه" كله مع الحياة وسلوكه فيها ، ولكن إذا أثنت "المراحه  
الدرنجية" لنا ، أنه قد تخلص من عبوه وأخطبه الماصه وثبت اقدامه  
على الطريق القويم ، واختار الرمز قوة هذا الالتزام الأخلاقى لديه ،

فثبت للاحتتار وللتحدى ، فرد من واحة تجاهه أن نسط هذا الماضى من حسابات معه . . وألا نجلده بأخطائه القديمة ، وألا تتخوف من مؤثراتها المحتمة عليه ؛ لانه قد جاهد نفسه فغلها ، وتخلص من كل ما أكرناه عليه من قبل ، أما إذا كشفت لنا تلك « المراجعة » عن أن الحاصر مارال امتداداً للماضى بأخطائه وعثراته وبرواته ، فلا لوم عليها ، إذا تسه هذا الماضى دائماً فى أذهاسنا ، ونحن نتعامل مع صاحبه ، وإذا شككنا فيه ، وحاكنا « حاصره » على صوء ماضيه وضعف أملنا فى اصلاح أحواله فى المدى القريب !

دارت هذه الخواطر فى ذهنى ، وهذا لرجل الوسيم المهموم يحلس أمامى ، ويروى لى قصته مع زوجته ! فلقد عرفها وهو شاب صغير ، نخرج مند شهر فى إحدى كليات القمة وبدأ أرنى خطواته الناجحة فى الحياة العملية ، فلفت انتباهه فتاة جميلة من معدرف الأسرة ، تحيط بها العيون فى كل مكان تنواجد فيه . . وتحرص على احتذاب اهتمام الآخرين إليها . . وتشعر كلاً منهم بتمييزها له عن غيره ؛ حتى ليتوهم خطأ أنه فتى قلبها المنشود .

ووسط هذا الخو المحيط بها ، اقرب منها الشاب ، وتبدل معها الإعجاب والاهتمام ، ثم الحب ، وثمت حضنتها فى جو مشرق بالأمال السعيدة . . وحلال فترة الخطبة ، فوحىء الشاب بحطيته ، تروى له بلا صلب منه أنها قد ارتبطت قبله بخمس علاقات قصيرة ، ضنت كلاً منها حب ، ادى تبحث عنه ، ثم تبين لها أنها لا تعدو أن

تكون عبثاً لا طائل تحته ! ورغم اضطراب الشاب لم صارحته به  
خطبته ، إلا أنه - وبعد تفكير قصير - استراح إلى صراحتها معه ،  
واعتبرها دليلاً على صدق عواصفها تجاهه ودمها على الأخطاء السابقة ،  
وعزمها على فتح صفحة جديدة من الالتزام والثقة .

ولم يخل الشاب - رغم ذلك - من بعض التخوف ، من أن يكون لهذا  
« الماصي » بعض ظلاله الحاضرة أو المستقبلية على شخصيتها ؛ خاصة  
وأن « عدد التجارب » السابقة كبير . وكان هذا التوجس بعض أثره في  
تعامله معها ، فنشبت بينهما خلافات صغيرة عديدة ، خلال فترة الخطبة  
، أرجعها وقتها إلى صغر سن كل منهما واندفاعه

وحدث أن شكك ذات مرة في اعمدتها بالتليفون عن موعد محدد  
له ، برنبطها بزيارة عذنية مهمة مع أمها في الوقت نفسه ، وتنهت  
شكوكه فيها ، فتظاهر بالاعتناء بحجتها ووصع الساعة ، ثم هروا في  
سيارة أجرة إلى حيث تقيم ، ورضى على مقربة من بيتها ، يرقب الموقف  
مهيئاً وراحياً أن تكذب فتاته ظنونه فيها ، فلم تمض لحظات ، حتى  
خرجت فتاته وحيدة ، غير أمها ، وهي في قمة ريبتها ، وسارت بضع  
خصوات في شارع خلفي قريب ، ثم ركب سيارة ، كانت تقف في  
حاجب من الطريق في انتظارها ، ويقودها رجل يكبره بعشرين عاماً على  
الأقل ، وبطلقت السيارة في طريقها وخطبها يقف دهلاً ودامعاً !

وأدرك الشاب - في هذه اللحظة - أن طلال الماصي مزال تنسحب



على الحاصر : ففسخ خطته ها غير نادم ، وعنه فيما بعد أن هذا للرحل  
قد تقدم لخطتها وتزوجها بالفعل ، فتمنى لها السعادة والاستقرار على  
العد . . وبنفسه السلوى والعزاء مع غيرها !

ولكن الفضاة لم تخرج من حياتها هائبا - بعد ذلك - فبعد عامين ومط  
من فسخ حصته ها ، عرف بأن زوجها هذا قد تشكك في وعود علاقة  
ها بأحد زملائها في العمل ، فتربص ها وراقبها إلى أن صصها معه  
بالفعل ، وصره وصره عنقه ساحنه ، رفدت على أثرها في الفراش  
حوالي أسوعين ، ثم طلقها بعد فضيحة عائلية صالحة !

ورامت هذه الأبناء إليه فأسف ها ، وشعر بكثير من الامتنان  
لأقداره ، لى «أنقذه» من الارتباط بزوجة ، لا تعرف الوفاء لم رتطت  
به ، ولا ترد نفسها عن الوقوع في الخطأ .

غير أن اقداره كانت ترسم به مساراً آخر ، لا يتوقعه ، فقد كان في  
المدى ذات أصيل ، حين لمح فاته الساقية تقترب منه مهلبة ، وتحية  
بحرارة شديدة ، هنت إليهما أنصار من حوله حتى سألهم بعضهم : من  
هذه السيدة الحميلة . . ولماذا تحيك بكر هذا لود ؟ ولم يجد لشرب  
الفرصة على أية حال ، للإجابة عن التساؤلات ، فنقد أحده بعض  
ارهو بالفعل : لاحتفاء هذه لسيدة الحميلة به ، واستجاب لتوددها  
إليه على الفور ، ودعاها لسون الشى معه . . فطلبت هى منه أن ينتقل  
إلى مائدتها ، لتحدث إليه على افراد : فسار معها ، وسط ضروب  
التساؤل والحسد !

وحوار مائتها ، روت به قصتها مع زوجها «الوحش» ، الذي  
هشم عظامها «بتأثر» شديد ، منحسناً بالطبع أية إشارة إلى حينتها له ،  
ونسبته كل مشكلتها معه إلى «غيرته اخونية» عليها ، بسبب فارق السن  
سهما . واسمع هو إليها مصطرباً ، وهي تعترف له بدمها على أن  
«فرض» فيه ، وفي حبه الصادق لها . وكيف عرفت بالتحربة أم لم  
تخلو إلا . وكرر هكذا تفعل بنا أحياناً لعة الأيام !

وشياً فشيئاً ، سنيقت الحب القديم في قلبه تجاهها ، واستسلم  
لشوة الإحساس بالظفر والرضا عن النفس ؛ لأن هذه «خمسة» لى  
يعبطه عليها رملاء اسدى ، تعترف بين يديه بحصتها في حقه ، وبطلب  
منه الصبح ، ونداء صفحة حبيده معه من الثقة ، وإحلاص !

وتكررت اللقاءات سهما بعد ذلك ، وبدأ عقل الشك المتشكك  
يحمل إلى الاقتناع بأن فتاه أحلامه العديم قد طوت صفحة العيش  
والأحشاء المتكرره من حياتها ، ورعت في حياة الاستقرار والأمان واحترام  
لنفس ، وساعده على ذلك ملاحظته على فتاته بالفعل من «البرام»  
جديد عليها في حياتها ، فهي ترتدى ملابس أكثر إحشاماً عن ذي قبل ،  
ووجهها قد اكتسب هيئة «حدة» חדسة ، واحففت منه بصره «الشفاه»  
والغموص ، التي كانت تطل من عيها ، ويعرى الشبب معاكستها ،  
لأن لقلب يريد . فقد افتنع «لعقل» ، أو تطهر بذك على الأقل ،  
واستؤفت الخطية السابقة بينهما ، رغم اعتراف أهله وإخوانه الصاحب  
عليه ، وتم الزواج في جو شبه عدائي من جانب أهله .

ومصت الحياة بينهما هادئة مطمئنة ، والزوجة جميلة تتفنن في إرضاء زوجها ، ولا تكف عن محاولة كسب ود أهله «واحترامهم» ، ثم جاء طفلها لوليد ، فأذنب الخليلد نهائياً بينها وبين إخوة زوجها وأمه ، وبدد للجميع أن هذه الزوجة ، قد تخلت بالفعل عن عبث الناصي وطيشه ، ودرج الطفل على الأرض ، بعد قليل ، يلهو ويعث ، وبشر الههجة والسعادة في حياة الأسرة ، واطمأن خاطر الزوج الشاب إلى حياته وأسرته ، فتنفرغ بكل طاقة لعمه ؛ حتى حقق تقدماً ملحوظاً فيه خلال سنوات معدودة ، وعادت الزوجة إلى عملها ، بعد انتهاء إجازة رعاية الطفل ، فأصبحت تخرج من عملها إلى دار احصانة ، التي يودع طفلها فيها ، ثم تتوجه إلى النادي ؛ لنقصى فيه ساعة ، يستمتع خلالها الطفل بالشمس والهواء ، ويلحق بها الزوج ؛ فيرجعان إلى البيت ، أو يتناولان طعام العشاء في النادي .

وشيئاً فشيئاً . أحس الروح ببعض التحفظ والبرود من جانب زوجته تجاهه ، كما بدأ يسمع كثيراً منها «أشودة» الصداق الذي يهاجمها كثيراً . . . ويفسد مزاجها النفسي ، ويجعلها عارفة - في أغلب الأحيان - عن لتحاوب العاطفي معه ، حتى ران الصمت على علاقتهما معاً في معظم الأحيان ، ثم أعلنته فجأة بأنها قد ملّت العمل ، وصاقت به لأنه يحرمها من رعاة طفلها خلال انشغاعها به ، وأنها ستحصل على أحازة أخرى لرعاية الطفل ؛ حتى يبلغ سن الدراسة ، وحصت على الأحازة بالفعل ، وبدأ مزاجها النفسي يعتدل - إلى حد كبير - وإن لم تتحل بعد عن جمودها العاطفي معه .

ثم لذهاب إلى البادى فلهذا أصبح يومياً . فإن لم تذهب إليه في الصباح ، خلال غيابه في عمله لا يشغها شأن من شئون لبيت ، فيها تذهب إليه في لأصيل مع طفلها . وفي الوقت نفسه الذى يرجع فيه زوجها من عمله مرهقاً مكدوداً ، فلا يستطيع مصاحتها لسادى في معظم الأحيان .

وتمضى الحياة هادئة ، ولكن فائرة ، وفي الأفق العائى عمام غير مريح من العموص ؛ فانروجة ساهمة أغلب لأوقات ، وفترات صمناها تطول . ومرات حديثها ابهم اقصير في اتليقون تترايد ، فترى هل عادت السيدة الحميلة إلى مرحلة الأسرار ولألعار من حياتها لسابقة !

وتردد لسؤال في حذر في أعماقه . فإد بهارد الشك السائم ، يسيقظ مرة أخرى في صدره . وقل أن يهز رأسه ، طرداً هذا الحاطر المحيف عنها ، أجابه هاحس الراقدي مكمنه : ولم لا تفعل ، وهما في «الغمرة» ماض عريق ؟ وماذا يردعها عن تكرار ذلك ، ألم تعرف قلبك حمسة شان وربما أكثر ؟ ألم تعرف زوجها اسبق ، وهى مرتصة بك برط اخطنة ، وتسعدان لبرواح ؟ وألم تحس هذ البروج نفسه ، لذى خدتك من أجله ، مع زميل لها بالعمل ؟

ووجد البروج نفسه في دوامة عصرية ، ولم يطق معاشة هواجسه أكثر من ذلك ، فقرر أن يراقب روجنه عن بعد ، ولم تسفر مراقبه ه عن شىء ، يؤكد هواجسه ولا عن شىء يطمئن خراطره بحهها . فأقدم على خطوة أخطر ، وقام بوضع تليفونه تحت المراقبة ، وفي الموعد المحدد

لأنهاء فترة المراقبة ، سلمه المسئول شروط المراقبة ، وفي عييه نظره عامضة .

وغادر الروح المكان مرتبكاً ، وفي سيارته وضع أول شريط ، ثم تجمد في مجلسه ذاهلاً ، وهو يسمع صوت روحته منها . إنه صوت روحته لدى معرفه في الفترة الأخيرة جامداً برداً ، ولكنه في هذا الشريط دافئ ورقى . بل وطروب أيضاً ، شئ بالأوثه والدلال ، أما الحديث الذى سمعه حين رحل وامرأة ، يجمعهم الحب والشكوى من «ظلم» الأقدار ، التى حرمت كلاً منهما من نصفه الآخر الصحيح .

ولفت تشاه ازروح المصدوم تردد كلمة «النادى» كثيراً في الحديث ، فأعلن أنه مسرح لفصه امحرية ، وتحمل على نفسه ، فلم يظهر لروحته شيئاً مما عرفه .

وفي صباح اليوم لتالى ، غادر عمله بعد ساعتين ، وركب سيارته متوجهاً إلى الددى ، وفي ركن بعيد من الحديقة جلس يترقب مجيء روحته محمياً وجهه بصحيفة الصباح ، وبعد حظات جاءت مع طفلها ، فابطنو الطفل يحرقى لاعداً ، وجلست الزوجة تحسب القهوة منزقة ، فلم يمض وقت طويل حتى جاء شاب ، تهلت أساريره حين رآته ، وحلس الشاب متوجهاً إليها بكل اهتمامه ، وحاء الحارسون إليه بالقهوة ، فتظاهر بالفضور ، وسأله عن هذه السيدة وزوجها ؟ فالتفت الحارسون للحصه ، ثم أجابه باستهانة إنها عضو من أعضاء النادى

ولكن الشاب الذي يحس إليها ليس روحها ، وإنما هو مدرب كرة لـ  
بالنادي !

واسمهم الرجل كل قدرته على لتظاهر بالاستهانة ؛ وعاد يسأل  
الآخر متظاهراً بالفضول : وماذا يجمع بينهما ؟ فأخذه الحرسون ، وهو  
يعمر طرف عيه الشقوة . . والفراع ! ، ثم انسم : فوجد نفسه  
مضطراً لمجارته في الابتسام المؤلم ، كبحاً حمح انفعالاته وأحزانه ، ثم  
انتظر ابتعاد الحارسون عنه ، ووضع الصحيفة جانباً ، ومهرص متحها إلى  
مائدة روجه وصديقها في تصميمه ، والشرر يطاير من عييه !

أما ما حدث بعد ذلك . . فقد روه لى ، وهو برورى فى مكتى من  
بين دموعه ، فقال لى إن زوجته راته يقرب منها ، وى عييه نظرة أندرت  
بالخطر ، فإذا بها تعجز حتى عن التطاهر بالدهشة لرؤيته على غير  
انتظار ، وتستشعر الخطر المفاحى : فتهرول بغير تفكير ، وتغادر  
النادى ، غير أهة لشيء حتى لطفلها ، الذى تركته وراءه أم  
الشاب فلقد تابعها بدهول لحطات ، ثم التفت إلى الرجل الذى ثار  
فزعها ، ففوجىء به يكمه بقوة فى وجهه ، وقبل أن تتلك نفسه أو  
ينطلق بكلمة واحدة ، كان الرجل قد انصرف عنه ناحئاً عن طفله ،  
وخارجاً من النادى ، وسط ذهول الحاضرين !

ورجع إلى بيته ، فلم يجد زوجته ، وأدرك أنها قد توحهت إلى ست  
أهلها ، فأتصل بأمها طالباً منها ألا ترجع إلى بينها مرة أخرى ؛ لأنه  
سيرسل إليها ملابسها وأشياءها ؛ حيث تقيم ، فعرف منها أنها قد

ادعت لأسرتها أنه قد أحال حياتها إلى جحيم «شكوكه» فيها ، وأنه قد  
لاحقها إلى الندى ، وأثار فضيحة مدوية ، لمجرد أن رأى مدرباً شاتاً من  
مدرسى النادى ، يتحدث إليها ، وكانت «تفاهم» معه على تعليم  
طفلها ، لذى لم يبلغ الرابعة بعد لعبة الاسكواش !!

وحين جاء إليه شقيقها المتزوج معاتباً وسعياً فى الإصلاح ، واحبه  
باحقيقة وبشرائط لتسحيل ، فثمت الرجل ، وصب لعناته على شقيقته  
المستهرة ، وأقسم ليطردنها من بيت الأسرة ، وتوجه إليها بالفعل  
ساخطاً ، فأوحعها صرباً وركلاً ، ودفعها خارج باب الشقة ، لولا أن  
توسلت إليه أمها ، أن يدعها الأمر لمعالجه مع ابنتها .

وبعد فترة من الانقطاع اتصت به الروجة الخائنة ، وطلبت منه أن  
يعطيها «فرصة أخرى» ؛ لأنها قد تعلمت «الدرس» ، ودركت خطأها ،  
ولامت نفسها كثير على ما فعلت واستشعرت مسئوليتها عن روحها  
وطفلها .

هذه هى القصة ، انتى حاء هذا لرجل ليرويها لى . أما سؤاله لى  
فقد كان هكذا :

- هل يعصيا هذه لفرصة الحديدة أم ماذا يفعل ؟

ووجدت نفسى أسأله على الفور وكم مضى الآن على «واقعة  
النادى» هذه ، فأجابى بأنه قد مضى عليها أسبوعان فقط !

ووجدت نفسى أقول له - بعد تفكير قصير - أنه بقدر الحرم الذى

نرتكبه ، يكون التكفير عنه والتطهر منه ، وبالتالي فإن فترة الأسوعين ،  
التي مضت على الجريمة ليست كافية ؛ لكي تصهر هذه السيدة بم  
فعلت ، ولا كافية لاختبار صدق ندمها على الخطأ وتوبتها عنه بل إن  
التسامح معها في مثل هذه الظروف غير المريح ، لا عائد له عدلاً إلا  
تهوين الجرم عليها وليس من العدل أن يخطيء الإنسان ، ثم يتهم  
الآخرين بالقسوة عليه ؛ لأنهم عاقبوه على ما فعل ، وإنما لعدل هو أن  
يسلم المخطيء بأن لكل شيء ثمناً في الحياة ، وأن يتحمل تبعات ما  
فعل راصياً ، ثم يكافح بعد ذلك طويلاً للاعتذار عن الخطأ ، ولطلب  
الصفح عنه ؛ فلا يكون له شميع في ذلك إلا أن يرافف الآخرون سلوكه  
في الحياة بعد الندم ، ويتأكدوا من أنه قد استوعب بالفعل درس  
التجربة ، وتمسك بالطريق القويم تمسكاً نهائياً .

وإن يتاح لنا أن نصدر عيه حكماً عادلاً ، إلا إذا أتبحت بنا فترة  
كافية من الزمن ، نرقب خلالها سلوكه في الحياة ، وعلى ذلك . . . فإنني لا  
أنصح بالتسامح معها في الوقت الحالي ، وإنما بأن يتمسك بالعدل  
معه ، فينفصل عنها ، ثم يواجه أقداره بشجاعته : فإما أن يرتبط بغيره  
ويبدأ معها حياة جديدة وإما أن تثبت له تجربة الأيام أن روجته  
«السدقة» قد صدق بالفعل ندمها ، وانتمت الهع القويم في الحياة ،  
«فيبحث» حيثُ أمر استئناف حياته معها مرة أخرى . أما المسدرة  
بأنصفح والتحاوّر عن مثل هذه الخطيئة الكبرى ، فلا معنى له إلا  
استمرار الخطأ . . أو توقعه في فترة قادمة .



وأحنى الرجل رأسه صامتاً بعض الوقت ، ثم سألنى متريداً :

- برى هل أخطأت فى البداية باستمرار خصبتي ها ، وقد صارحتنى

هى حلالها بكثرة «تجاربها» السافه ، قبل ارتباطى بها

ووجدنى أجيبه فى حذر ، بأن ذلك لم يكن خطؤه الحقيقى فى اقصة

كها . وإنى كن الخطأ الحقيقى هو تعاميه عن فهم شخصية هذه

لسيدة ، منذ ابديه ، وعن فهم معزى قدمها على خيانتها ، وهى

مخطوبة له مع رجل آخر ، ثم حيانه هذا الرجل نفسه ، بعد أن تزوجته ؛

بى قاد - فيما بعد - إلى تكرار الخيانة له ، وهى هذه المرة روجه له وأم

طفله ؛ فكل إنسان معرض للوقوع فى الخطأ ، دون أن يكون هذا خطأ

دليلاً على أن طابع شخصيته هو الانحراف الأخلاقى ؛ إذ قد يكون

خطؤه نزوة عابرة ، أو لحظة ضعف شرى ، لا تتكرر مرة أخرى فى

حياته .

أما تكرار الخطأ - مرةً بعد مرة - بالتفاصيل نفسها ، فلا يمكن إلا أن

يكون دليلاً على فساد فيه الإنسان الأخلاقية وحرافه النفسى والخلقى .

وليس من المفيد التسامح مع أخطاء مثل هذا الإنسان ؛ لأنه يهون عليه

الظن الذى يدفعه لأخطائه .

ومن البشر من يحمون بعض سمات اشخصية السيكوبتية و

اعماقهم ، وانشخصية السيكوبتية شخصية منحرفة ، نستحيب لئلاء

المتعة ولئلاء والفائده الخطية دون تقدير للعواقب وإحساسها بالمسئولية

لأخلاقية والإنسانية عن الآخرين الذين يرتبطون بها ضعيف لديه .  
لسبب بسيط ، هو أنها لا تقيس الأمور - في معظم الأحيان - بتوافقها مع  
المعايير الأخلاقية ومسئولية أو عدم توافقها ، وإنما بما يمكن أن تقدمه لها  
هذه الأمور من متعة ولذة ومصلحة وفائدة ، كما أن هذه الشخصية تتسم  
أيضاً بضعف الإرادة أمام إغراء نداء المتعة واللذة ، والمصلحة على  
حساب كل شيء آخر ؛ حتى يبدو أنها تعاني من برعة شبيهة بنزعة  
جبر التكرار ، التي يفسر بها العلماء إقدام الإنسان أحياناً على تكرار فعل  
أو سلوك ، يعلم هو جيداً أنه صار به وبالآخرين ، ومناف للقيم الدينية  
والأخلاقية ، ولكنه يجد نفسه عاجزاً عن مقاومة نداءه ، وبهذه النزعة  
يفسرون إدمان التدخين والمخدرات ، والكذب ، والرشوة ، والاختلاس  
والسميمة ، و « الخيانة » لعاطفية والزوجية ، حين تكرر ، ويصبح  
سلوكاً دائماً ومتصلاً ، وليس نزوة عارضة . .

- قلت لمحدثي : فأى الشخصيات هي روحك يا سيدى ، وأى  
« طابع عام » لشخصيتها منذ عرفتها ، تستطيع أن تحدده لها ؟ هل طابع  
الاستقامة والجدية والالتزام ومقاومة الإغراءات والعد عن العيث ؟ أم هو  
الطابع الآخر ؟

فسكت الرجل للحظات ، أشفقت عليه حلاها ، ثم يعاينه من حرج  
، ثم قال لي مستسلياً : بل هو الطابع الآخر بكل تأكيد ، ولكنى تعاميت  
عن أشياء كثيرة ، استجابة لضعفى معها ، وهذا الضعف لم يستمر  
لحظة أخرى بعد الآن . . وشكراً لك .

وهضر الرجل معادراً مكبى في عجلة ، نسي حلالها يدي الممدودة  
له لتحية الوداع ؛ وحين فتح باب المكتب ، التفت إلى ، ولوح لى من  
بعيد . شاكراً ، ولوحت له مودعاً واسفأ . . ومكتئباً ! .



## شيطان فى بيتنا

كيف ظهر هذا الشيطان ومن أين جاء ؟

لقد كانت الأسرة تعيش حياتها العادية فى هدوء ، بعد أن التأمّت حراح ، وتواءمت الأسرة مع ظروفها الجديدة ، فقد رحل الأب عن حياة ، تاركاً ذكراه لطيفة فى نفوس من عرفوه ، وبصمة لا تمحى فى أرواح « رهاته لثلاث » ، كما كان يحلو له أن يسميهم ، وهى روحه وابنتاه .

وصعوبة شديدة . تألفت الأسرة مع أوضاع حياتها ، بعد غيابها عنها ، ورجعت الأرملة الحزينة إلى عملها الصباحى بالمستشفى . وأجّرت عيادة زوجها الطبيب لراحل لأحد زملائه ، ورتبت حياة الأسرة . على أن تحيا بمعش الأب ، وإيجار عيادته ومرتبها ، ورجعت الابنة الكبرى إلى كليتها العملية ، التى لم تكد تبدأ فيها أولى خطواتها ، حتى رحل أبوه عن الدنيا ، كأنها قد اطمأن إلى أنه قد وضعها على بداية الطريق ، وعادت الابنة الصغرى إلى مدرستها لتبوية ، تعالّب

إحساسها المؤلم بالصياغ ، وفهذان السند والنصير ، لدى طالما استندت إلى كهلله ، واعتمدت عليه وتمتع بحبه ، وتدلّيله الرائد ها ، حتى كانت دائماً مرصع تسر الأسرة ، وأحد مسرّاتها العائنية البهيحة ، وكان الأب لا تخفى عاطفته لحرفة تحاهها ، ويعترف بذلك ؛ حين تصيّق عليه روحته ونبته الكبرى الخناق ، فيقول معتدراً به يحب رهرة الثلاث حتى الحنور . ولكن حبه لصعرهم يفوق حد حنوا وتضحك الالة الصغيرة ، وتضحك الزوجة السعيدة ، وتسعد حتى بغرتها الخفيفة من هذه الالة لمحظوظة . وتضحك لالة الكبرى «العاقبة» . انى تلهمها طبيعتها الرريضة تفهم حقيقة مشاعر بيها ، لدى بحها من أعماق قلبه ، وحتى ولو حصّ شقيقتها ببعض لعطف الرئد ، كما يفعل عاباً لأب نجه أصغر نائه ؛ حين يشعر شعوراً غامضاً ، بأنه لن يكمل امشوار معه ، وأنه سوف يجد نفسه ضائعاً في رحا الحياة من بعده ونقد كد هـد بالفعل هو ما شعرت به الالة الصغرى ، بعد الرحيل وكذلك الالة الكبرى . . والأرملة الحزينة .

ثم أدى الزمن دوره الحاد في تسكين الحراح ؛ فعادت الحياة إلى صبيعتها بدريجياً في محيط الأسرة ، وأصبحت الأرملة اطييهه تحرح إلى عملها في الصباح ومعها اسها ؛ فتركب سيارة الأب الراحل القديمة ، وتوصل الصغرى إلى مدرستها والكبرى إلى كيتها ، ثم تذهب إلى المستشفى ، وترجع إلى بيتها في اشييه بعد الطهر ؛ لترعى شؤون لأسرة .

حتى يحين موعد عودة اسبين ، وتجمع « الدهراب الثلاث » ، حور  
مائدة الغداء .

ومضت حياة الأسرة على هذا النحو ، ثلاثة أعوام ، حصت خلاص  
الانثى الصغرى على لثانوية العامة ، ولتحقت بكليتها . . وشرفت  
الكبرى على التخرج ، و بدء حياتها العممية ، ثم ظهر فجأة هذا الشاب  
في حياة الأسرة فقلب موازينها !

وحاء ظهوره في البداية طبعياً ومألوفاً . . فهو صاحب « السوبر  
ماركت » ، الذي تتعامل معه الأسرة ، ولقد طرق بابها د ب مساء ،  
مضطرباً ليستشير الأم لطيفة في مرض ألبروحه ، وأشربت عنه الأم  
بأن تعرضها عليها في لصاح بالمستشفى ، وذهب بها إليها ورعها الأم ،  
خلال إقامتها به ، إلى أن تحسنت حالتها ، وعاد د ب المستشفى شاكراً  
وممتنة ، وأراد لشب أن يرد إليها الحمل ، فعرض خدمانه عندها .  
وأعطاهما رقم تليفون السوبر الماركت ، ورجاها ألا تتردد في تكليفه بأي  
خدمة تحتاج إليها ، ولو كانت كيساً من الملح .

وحاء أول الشهر التالي ، الذي اعتادت فيه الأم أن تشتري احتياجات  
بيتها من لسوبر الماركت ، فحظرها أن توفر جهدها في الذهاب إليه ،  
وأن تتصل بهذا الشاب الخدوم ، ليرسل إليها ما تريد ، وفعلت ذلك ،  
فرحب الشاب بحرارة بأداء هذه الخدمة البسيطة ، لها ولم يمض وقت  
قصير . حتى كان يطرق نفسه باب الشقة ، حاملاً كل احتياجات  
الأسرة ، وتكررت الاستعانة به في بعض الخدمات للمائلة

ثم تعدى مجال الخدمات دائرة المشتريات من المحل ، إلى شراء لوازم أخرى للأسرة من مصادر مختلفة ، ونجاوزها بعد ذلك إلى قضاء بعض مصالح الأسرة في هيئة التأمين والمعاشات ، وفي الضرائب ، ومرفق الكهرباء . . ومرفق المياه وهيئة الاتصالات ، ووجدت لديه الأم الطيبة رغبة صادقة في تقديم كل ما يستطيع من عون لها ، ولكن شبتاً في شخصه ، وفي طريقه الأم في حديثها إليه أثار قنق الآلة الكرى وصبقها ، فلقد لاحظت على أمها التي كنت تعالى دائماً في تحمطها مع اغرباء ، وتتسم بقدر كبير من الرزانة ؛ حتى لبعدها العنصر حافة الطمع ، أمها قد بدأت تتخلى عن كثير من تحمطها في تعاملها مع هذا الشاب . وأنها تزدد اهتماماً بأناقته وزينتها ، وتزداد أيضاً طلباً للخدمات المختلفة من هذا الشاب ، حتى بات ظهوره في مسكن الأسرة شبه منتظم ولأنفه الأسباب !! .

وصاقت الابنة الشابة بذلك ، وبدأت تتعامل معه بحمء مكتوم ، ولاحظت لأم جمءها معه ، فسألته « براءة » عما يدعوها إلى ذلك ، والشاب « طيب » وحنوم ، ويؤدى خدمات حليلة للأسرة ، اتى فقدت برحيل الأب من يرعاه ، وأثر افتعال الأم لهذه اللهجة لبريئه الرقيقة معها حزنها ، وضاعف من مخاوفها ، إذ لو لم يكن في الأمر شيء غير مريح ، ما اضطرب الأم لافتعال هذه الرقة الكذبة معها

ولم تستطع الابنة كتم مشعرها أكثر من ذلك ؛ فصارحت أمها بسوء ظنها في بية هذا الشاب نحءها ، ورجتها التحفظ في تعاملها

معه ؛ تُحبنا لكلام الناس عنها ، وهى الأرملة ، التى مرّالت جمية .  
وانقاداً لسمعة ابنتيها التين قد يصيبه رذاذ من هذا الكلام . . ففوجئت  
الابنة بأمها تتخلّى عن قذع الرقة المفتعلة ، وتتحوّل إلى سمرّة هائجة ،  
تدافع عن هذا الشاب بلا حياة ، وتتمسك بوجوده فى حياة الأسرة ،  
وتطلب من الابنة أن تحسن استقباله كلما جاء ؛ لأنها لن تتخلّى عنه مهما  
حاولت !

وصدمت الابنة فى أمها صدمة هائلة . . وكشفت لها الأيام بعد  
ذلك ، ما لم تتخيل أن تتردى إليه الأمور بين أمها وبين هذا الشاب .  
فلقد فوجئت بها تدعوه للعشاء معهن فى بيتها ، ذات مساء ، غير عابئة  
بازعاج الابنتين من أن يحىء رجل غريب للعشاء معهن دون زوجته ، ولا  
بنظرات الاستنكار لقاتلة فى عين الابنة الكبرى ، وجاء لرجل فى مواعده  
أنيقاً باسماً لزجاً متودداً ، واعتصمت الابنة الكبرى فى غرفتها ، رافضة  
الخروج للعشاء .

وبعد قليل لحقت بها شقيقتها الصغرى ، منزعجة تسأها عما يجرى فى  
بيتها ، فلقد رأت أمها تخرج عن اتزانها المعهود مع هذا الشاب ،  
وتتضحك معه « بأنوثة » عربية عليها ، كأنها قد ارتدت فتاة مراهقة من  
حديد ؛ فلم تستطع احتمال الموقف وانسحبت من المكان ، وانفجرت  
الشقيقة الكبرى ناكية ، وأخرجت البخار المكتوم فى صدرها طوال الفترة  
لماضية ، وروت لشقيقتها كل ما جرى بينها وبين أمها بشأن هد  
الشاب .



وتحوت حياة لأسرة - مد ذلك الحين - إلى حليم ، تتلصق به  
عنت كل يوم ، فلقد تحنت الأم عن تظاهرها السابق ببراءة العلاقة بين  
هذا الشاب وبينها ، « ورأرت » في وجه ابنيها ، حين تحدثت إليها في  
لامر ، بأب « تحبه » ، وأنه الرجل الوحيد الذي أحبته في حياتها ،  
ولا تستطيع النحلى عنه ، وعبيها أن تقللا هذا الأمر الواقع ، أو تفعل  
ما تشاءان ! وحين دكرتها احدهم بأنه زوج وأب لطفل صغير ،  
ويصغره عشر سنين ، ردت باستهانة بأن كل ذلك لا يمسها من  
الارتباط به !

وبكت الابنتان حتى حف دمعهما . . وحزنتا حتى الموت على أبيهما  
الطيب ، الذي أساءت إليه أمهما بحديثها المذهل عن أب لم نكر تحبه ،  
رغم ما كان يبدو لهما من تفانيه في إرضائها . .

وفم حذار عي من الحفاء وتوتر بينهما وبين أمهما ، وتحولت الأم -  
التي كان بعض أفراد أسرة اسهما ، ينسدر عيها بأب كالقائد العسكري ،  
الذي لا يقيم ورًا لدمشعر العطمة - إلى شخصية أخرى محتمة تمامًا  
صحيح أنها لم تكن أماً حنوناً هما ، وأن مع الخنان في حياتها كان  
تدفق عيها من ناحية الأب وليس الأم ، إلا أب كانت رغم ذلك أماً  
تعرف واحساتها تجاه ابائها ، وكان الأب يبرر هي تحفظها ابزائد ، بأنها  
ريد أن تعاد به عطفه ليعري عليهما ، لكيلا تفسدا ، وبأنها تؤدي  
دور «العقل» في حياة الأسرة ، لأنه بطبعته لا يستطيع أن يؤدي معها ،  
الا دور لقب وحده ، فأين ذهب العقل من رأس هذه السيدة حميلة  
. . وماذا أصابها ؟

ثم نهضت الابنة الكبرى من نومها القلق في إحدى ليالي امتحانها على أصوات حديث ، بداها عريباً في المسكن هادئ ، فخرجت إلى الصالة فإذا بها ترى أمها راجعة من الصالون ، وتقول لها - لا صطراب - إن لديهن «ضيافاً» هذه الليلة سوف يبيت في حجرة الصالون ؛ لأنه يختلف مع زوجته وهجر بيته ، وقد استضافته هذه الليلة إلى أن يدبر أمره في الصباح ! . . . يا إلهي . رحل غريب في بيت ، لا يضم سوى ثلاث زهرات ، لا حامى لهن ! ماذا أصاب هذه الأم ، وكيف فقدت كل سيطرة لها على نفسها إلى هذا الحد ، وماذا تفعل هذه الالة معها . . . وأين المهر ؟ هل تلجأ إلى أسرة أمها . . . ومن الذى يستطيع منهم أن يؤثر على هذه الأم ، وقد خلعت كل قبح ، ولم تعد تأبه لشيء ؟

هل تلجأ إلى أسرة أبيها الراحل ؟ وماذا يحقق ذلك والعلاقة بينها وبين الأم متوترة وسيئة ، من قبل وفاته ؟ وماذا تجنى منه سوى شmate الأسرة في هذه السيدة وتشهيرهم بها ؟

هل تلجأ إلى رئيسها في العمل ، مدير المستشفى ، وماذا يحقق ذلك سوى ذبوع القصة الشائنة ، وتأثر سمعة الجميع بذلك ؟

هل تلجأ إلى «الشيطان» نفسه ، وتستعطفه أن يترك أسرته ، لتعيش كما كانت في سلام ، ويسعد عن الأم ويخلص لزوجته ، أو يحونها مع مرأه أخرى ، لكر متى استحباب «شيطان» لغير بوازعه وخطرات نفسه وأهوائها؟

وصدف الدنيا بالآلة الخائرة ، فحاءت إلى ، وهى فى قمة معادتها ،  
تعرض على هذه القصة المخجلة ، وتسألنى :

إلى من تلجأ ؟ فأجبتها بغير تردد . إلجأى إلى آخر شخص ، أنصح  
عادة باللجوء إليه فى مثل هذه الحالة ، ولكنه الحل الوحيد أو الضرر  
الصغير الآن ، بالمقارنة مع ضرر استمرار الوصع على ما هو عليه . .  
وهو المأذون !

ذهبت انتى الآن إلى مأذون لى ، واصطحبته معك إلى البيت ،  
« وأرغمى » هذا الشيطان على أن يعقد قرانه « الآن » ، وليس عدأ على أمك  
مع إبرائه مهتماً من أية حقوق مادية لها عليه فى الحاضر والمستقبل ،  
لكى تنتفى كل حجة له لرفض الزواج ، وهددى الاثنين معاً أمام  
المأذون ، بأنك سوف تنتحرين إن لم يعقدا قرانهما الآن أمامك أو يقصعا  
هذه العلاقة الاثمة ، وأكدى هما أنك قد أودعت لدى رسالة تحمسيهما ،  
فيها مسئولة انتحارك ، إذا أقدمت عليه ، وطلبت منى رسالها إلى أسرة  
نيك ، إذا اتصلت بى شقيقتك الصغرى ، حاملة لى خمر الانتحار ،  
إسى قد وعدتك بذلك ، وإما ان يفضل الشاب زواج أمك ، ويتحمل  
تبعات ذلك أمام روحته وأسرته ، وحتى ولو كان فى ذلك شقاء هذه  
لروحته الصحة ، وتم تصحيح هذا الوصع الشائن ، حتى ولو لم يكن  
بالشكر الموصى بك ولشقيقتك من الناحية العائلية والاجتماعية ، وحتى  
ايضاً ولو كان على حسب روحته وطفله للأسف ، وإما أن يجئن اشباب  
عن تصحيح الوصع وتقديم هذا القربان الصغير للسيدة ، التى يقول

إيه يتمسك هـ ، فينكشف القناع من وجهه الخفي ، أمام أمثـ ، وقد بدفعه دلت إلى إعدده لنظر في الأمر كله ، وقد ساعدته على العودة إلى رشده ، وتقدير مسئولية العذوبة والإساية تحه انتيه وأسرتها .

وأنصت الفتاة الحائرة لما فته هـ خطوات ، وهي دعوة الفهم من اندهشة ، ثم نهضت فحة ، وكأنا قد دثت فيها روح جديدة ، وهي تؤكد لي أنها سنفعل ما اشرت به عليها لأن على الفور ، صابرة مسيـا أترقب اتصال شقيقتها بي في لقريب العاجل ، لتبعني بحر اتحارها غالباً ، ومضت الفتاة مودعة .

وانعدت خطواتها ، ثم تنصل بي بعد ذلك بدأ ، كي لم تنصل بي شقيقتها أيضاً . . والحمد لله !



## وداعاً يا أهل الأشياء الجميلة

هل كرهتُ هذه السيدة ؟

لا . . . لم أكرهها !

هل ضحكْتُ منها ، ومن عجرفتها الفارغة ؟

ربما أكون قد ضحكْتُ منها في السديّة ، وكسيتُ بعد فورة من العمر ،  
م أعدّ أحد فيها ما يضحكني ، ووحدت كثيراً ، كما تثير إشفاقي على  
هذه لسيدة ، وعلى أمثاله ومثيلاتهما في حَيَاة ، فهي نموذج لعجز  
الإنسان عن إدراك واقعه ، وعجزه انفسى عن المقومه ويتحرّث ، لكي  
يدفع عنه الأخطار التي تقترب منه .

وهي تذكرني دائماً بذلك الحلم المزعج الشهير من أحلام الطفولة في  
حياة كل إنسان ، وهو حلم الوحش لكسر ، الذي يصدر من الطفل في  
عدم الأحلام ، لكي يفترسه ، فيأداهم الطفل ، فراراً ، راجياً منه بنفسه .  
اكتشف عجزه لنام عن حركه ، واكتفى بالطرات الحائمه المروعه

سحصر ، الذى يقترب منه ، وبالصراخ العاجز ، هلعاً منه ، بغير أن يتحرك قيد أنملة بعيداً عنه !

وهكذا يفعل أيضاً بعض الشر فى ديا الواقع ، وهذه السيدة واحدة من هؤلاء الشر الذين رأوا الخطر ادهم ، يقترب منهم ، وعجزوا حتى عن مد أيديهم أمامهم لدفعه عنهم .

إنها سيدة ثرية اعتادت الحياة المترفة بهضة التكاليف ، وقد عاشت حياتها مع روحها فى بيت كبير ، عمره أكثر من مائه عام ، يزدحم بأثاث كلاسيكى ثمين وقديم ، وتحيط به حديقة جميلة وشاسعة ، ترتفع فيها الأشجار الجميلة العريقة

غير أن روحها أسرفت فى الإنفاق خلال سنواته الأخيرة ، واستدان ديواً هائله ، ثم رحل عن الحياة ، فنطقت الأرملة تحاول أن تعوض ما فتها من متع الحياة ، خلال مرض روحها ، وهجرت لبيت العريق وبلدتها كلها ، وراء رحل أحبته ، واقامت إلى جواره فى بلد آخر ، وأسرفت فى إنفاق ما تبقى لها من أملاك الأسرة عليه وعلى متطلبات حياتها ، إلى أن هجرها إلى امرأة أخرى ، فولدت صدمة العدر والحيانة كسابها ، وقررت أن ترحل من مهجرها إلى الأرض ، التى عاشت فوقها صباها وشبابها ؛ لكى تستشعر الأمان فيها .

واصطحبت معها فى رحلتها العودة ابنتها الجميلة ، التى تبلغ من العمر ١٧ عاماً ، وبنتها الأخرى المتبناة ، التى يبلغ عمرها ٢٤ عاماً ،

وخادمها الخاص ، وبلغت مسقط رأسها وبيتها في لنهاية ، وبدأت  
تستشعر الطمأنينة والأمان ، في طلال أشجار حديقنها الرابعة ،  
وبالقرب من الأهل وأصدقاء الزمن القديم .

لكنها ما إن بدأت تستقر في بيتها العريق ، وتعاب الام العذر  
والخيانة . حتى كتشفت أن كل أملاكها قد تم احجز عيها ، خلال  
عيستها الطويلة ، وأنها سوف تباع بالمزاد العلني خلال وقت قريب ،  
سداداً لئلا يكون المتراكمة عليها ، وبأى لزيارتها التاجر الثرى ، الذى كان  
قبل هجرها لبلدها فلاحاً بسيطاً ، وينصحها بعقليته الواقعية أن تؤجر  
لبيت والحديقة ، لكى تقام فيها فيلات صغيرة لمصيمين ، فتستطيع  
بذلك إنقاذ بقية أملاكها من الضياع ، ولكن السيدة الارستقراطية  
العاحزة عن إدراك الواقع ولتكيف معه ، تقول له باستكبار :

- فيلات ومصيفون ومستأجرون ؟ يا لها من وصاعة !

وحلال حوارها معه يطرق بابها شحاذ ، فتعطيه قصعه ذهبيه ، ثم  
تلتفت إلى التاجر الرائر ، وتطلب منه قرصاً حديداً ، وتمعن السيدة في  
الانفصال عن لواقع ؟ فتقرر أن تقيم حفلاً لاستقبال صيوفها في اليوم  
نفسه الذى سيجرى فيه بيع أملاكها بالمراد .

وتنهال عليها برقيت رجلها العادر ، يطلب منها الصفح عنه ،  
والعوده إليه مرة أخرى ، فترفض في البداية أن تمنح هذه لبرقيات ، ثم  
تبدأ بعد قليل في قراءتها ، ولتردد بين رفض الصفح عنه وبين الاحتياح  
الشديد إليه



وتقول للطالب «الأبدى» ، لدى بلغ من العمر ٢٦ عاماً ، وما زال  
في عهده الجامعي الثاني ، ولدى تتعلق به انتها الشبهة ، أن هذا الرجل  
المنوحش قد مرض ثنية ، وساءت حالته ، هو يريوها أن نسامحه ،  
«أما قررت أن أسافر إليه ، لتكون إلى حوار في مرضه

ويستكر الطالب الجامعي قراره هذا ؛ فتقول له في الفعل

- به مريض ووحيد وتعيش من الذي سيعنى به هناك ، ومن الذي  
سيحميه من أخطائه ؟ . إنه ححر في عتقى ، يشدني معه إلى القاع ،  
ولكنني أحب هذا الحجر ، ولا أستطيع العيش دونه !

ويقول لها الصالب الصديق : ولكنه هيك ، إنه وغد ! كل الناس  
يعرفون ذلك م عداك ، فلماذا تتجاهلين هذه الحقيقة ؟

وتنهه لأزمة احمة عن أن يتحدث بسوء عن رجبها الغادر . وكما  
تقول له في أعماقها إنها لا تتحهل هذه الحقيقة ، ولكنها أيضا  
لا تستطيع التخلص من حبها لهذا الوغد .

وتتلاحق الأحداث سريعاً ، فتقرر استنها أن تنتظر ذلك «الصالب  
الأبدى» ، كما يصبه البعض ، إلى أن ينتهي من دراسته ويتزوجها ،  
وتتعلق من استنها المتبناة ، بأن يحطها الناجر اشري دون جدوى .

ثم يأتي هذا الدحر إلى حفل الاستقبال ، الذي تقيمه ربة البيت ؛  
سعلن أنه قد فاز شراء كل أملاك الأسرة في المراد ، قليل لحظات قليلة ،  
سدى دس محرم عليه - في طفولته - الاقتراب منه أو المرور أمامه !

وتستعد الأرملة الأرستقراطية لإخلاء البيت وحديقة ، والعودة إلى مهجره ؛ حيث ينتظرها رجلها الغدر ، أو حيث ينتظرها «الحجر» ، الذى يهوى بها إلى اقاع ، ولكنها على لرغم من ذلك تحبه !

ويكون رجاؤها الأخير للمالك الحديد ، هو ألا سداً قطع شح الحديقة المحصنة بالبيت ؛ لكي يقيم مكانها القبلاط الجديدة ، لا بعد أن تغادر البيت والحديقة والبلدة كلها .

ويحترق الرجل مشاعرها ؛ فيأتى بمعدات اهدم والقصع إلى حديقة ، ولكنه يأمر لعمال بالألا يبدأو عملهم ، حتى يعودر السيده بيدها وبعد الخدم العدة لرحيل سيدة البيت ، ويحملون الحفائ ولأمتعه إلى العربة الواقعة فى الحديقة .

ويقرر شقيقو الأرملة البقاء فى بيده ، لكي يعمل موصف صغيرا فى لسنث ، بعد مقاومة من جاب أخته الأرملة حسه ، لأن يقبل هذا لعمل «الوضيع» !

وتستعد لانة الشابه لكي ترحع مع أمها «وطالها الأذى» إلى المهجر ، حيث تأمل أن يسمح فنها فى استكمال دراسته والارتباط بها ، ويرفق الأسرة خادما شاب ، يتلهم للعودة إلى المدينة لثى جاءوا منها أما الخدم العجوز ، الذى يقترب من السبعين ، فقد مريض مريض شديداً ، ولا مفر من أن تتركه الأسرة وراءه فى هذه البلدة

ويأتى التاجر لثرى نودع لأرملة ، فتصرحه بأنها كانت تحلم بـ

تروحه انتنها المتبابة ، ونقول له فى صراحة : إنها تحبك ، وأنت تميل إليها ، ولكن لماذا يبدو كر منكما . وكأنه يتحاشى الآخر !

ويحييها بأنه لا يفهم سبب ذلك فعلاً ، ويطلب منها أن تعينه على تخطى هذا الحاجز بينهما والارتباط بها .

وتنهض بحماس لأداء المهمة ، ثم تقول الأم لانتها إنها ستعيش بأشبع ، الذى أرسلته جدة الابنة لمحاولة شراء البيت ، وإنقاذ الحديقة من الضياع ، وتأمل أن يصمد هذا المبلغ بعض الوقت لنفقات حياتها ، أما المستقبل فهو فى علم الغيب !

ثم تحين لحظة الرحيل ، فتأمل الأرملة البيت والحديقة ، وتتأوه فى حسرة ، ثم تعانق أخاها ويكيان معاً بكاءً مكتوماً ؛ خشية أن يسمعها أحد ، وتنتصت الأرملة خوفاً ، وتقول : آه يا بستانى العزيز ، آه يا حياتى الماضية ، ويا شأى وسعادتى وداعاً لكم جميعاً وداعاً يا كل الأشياء الجميلة ! ثم تركب العربة فى طريقها إلى المهجر البعيد ، ويظهر الخادم المحوز المريض ، الذى أمضى زهرة عمره فى خدمة هذه الأسرة ، ويحاول فتح الباب ؛ فيكتشف أن مالك البيت الجديد ، قد أعقبه من الخارج ، فيقول لقد ذهبوا وسوى ، ولكن لا يهم !

ثم يرقد حلف الباب يائساً ، ويكف تماماً عن الحركة حتى ليخيل لمن يراه أنه يتأهب هو الآخر لرحلة جديدة إلى المصير المحتوم

ثم يُسمع فى المكان صوت كصوت أوتار الكمان ؛ حين تنقطع واحد بعد الآخر ، ويحف لصوت تدريجياً إلى أن يتوقف فلا يُسمع بعد ذلك

إلا صوت المعاول ، وهى تنهال على جدوع الأشجار العتيقة ١

وتنتهى أحداث مسرحية «بستان الكرز» لأميل القصة القصيرة الأدب  
الروسى ، أنطون تشيكوف ، التى عرضت فى موسكو لأول مرة فى  
١٩٠٤ ، وشاهدها على حشبة المسرح القومى بالقاهرة فى الستينيات ،  
وقرائها بضع مرات .

و يبقى السؤال الذى تشره قراءة هذا العمل الأدبى احميل وهو

كم فى حياة من أشخاص يرون خطر الحرب المادى أو المعنوى ،  
يقترّب منهم بخطوات حثيثة ، ويعجزون على الرغم من ذلك عن  
المقاومة أو القيام بأى فعل ، أو تحرك للوحة من هذا خطر الداهم ،  
الذى يحقق بهم ؟

وكم فى الحياة من أشخاص يعرفون جيداً «أحبارهم» ، التى نهوى  
بهم إلى القاع السحيق ، وعلى الرغم من ذلك ، فهم لا ينحلصون من  
هذه الأتقار ، لأنهم يصعقهم البشرى يحومها ، ولا يقدرّون على الحياة  
دونها ؟

وكم فى الحياة من أشخاص ، تحكمهم أوصاعهم لسقة ،  
وأفكارهم الثابتة ، وأسلوب حياتهم فيعجزون عن إدراك الواقع المحيط  
بهم والكيف معه ، وتفادى اسقوط إلى الهاوية اسحقيقة ؟

أنا شخصياً أعرف عدداً لا بأس به من هذا النمودح لشرى الحائر  
.. فكم تعرف أنت من أشباهه ؟



۱۵۵۱



## ثاني من العطف

دحت عرفة العمليات مريض في حيانى ، وفي كل منها كتب وحدى  
تماماً بلا أهل ولا أصدقاء يقفون بها ، ويتفنون سقاء الخراجة بسمعي  
من حراج كلمه تظمنهم على مصرى ، ويحيطون بى وأنا أعددوهم إلى  
عرفة الإفقه ويشدون من أدرى . فمدا دحيها وحيدا وعادها  
وحيداً؟ هل لأننى بلا أهل ولا أصدقاء؟

إسى ست محروماً منهم والحمد لله ، بل هل الله سبحانه وتعالى لم  
بمى على نعمة حليلة من بن عمه الكثرة بمى ما أعم على به من نعمة  
الأهل والأصدقاء العديدين .

هل لأنى « شجاع » كما « اتهمتى » بذلك الطيبه لأمرىكة الشاة  
حين سأتى قبل بدء إجراءات خراجة اشبه عمى بتطرى حارج  
عرفة من الأهل ، لتسعمهم برفم حجرة الإفقه التى سأنقل إليها بعد  
العملية ، فأحسها ناه لا أحد ستطرى حارج العرفة ، وسس معى فى  
غرفتى أحد سوى الله أنيس من لا أنيس له ؟ .

لا أطر ذلك بل بنى على يقين من أننى لست كذبت ، فقد كنت  
لا أحلو من خوف قاتل وأنا أقرب من غرفة الخراحة ، أو وأنا عمود فوق  
مائدة العمليات أنظر بدء لاجراءات فى كلا المراتين .

فما هو السبب إذن ؟

لا تفسير عندى لذلك سوى أنه طمعى الذى لا حيلة لى معه .  
والذى يمكنى ويدفعنى لأن أنهردهم بمومى وآلامى الشخصية وحدى  
دوب الآخرين ، ولو كانوا من أقرب الأهل ولأصدقاء . وسوى هذه  
السرعة التى تجعسى سبب لا أدريه لا أنتظر مشاركة من أحد فى هذه  
المهموم . فإد نادى أحد « شىء » منها سعدت به وامسب لصاحبه .  
ورب « دهشب » له أيضاً فى الوهبة الأولى لأنى لم أكر أنظره من أحد !

فأما المرة الأولى فقد كانت فى الماهرة ما يضع سنوات وتكتمت  
أمرها عن أسرته وأهلى وأصدقائى ، وحرحت من بيتى فى انصباح  
متوحتها للمسنشعى عبر أن أوح لأحد سرى ، لى أن تحت الخراحة  
وى حائى الأم وحشه غدارة بعدها ، فأرسلت لإحصار روحتى وأنائى  
وتحملت عتابهم صمتا ومتفهماً .

وأما المرة الثانية فلقد كنت فيها غريباً فى بلاد غريبة تفصلنى عن  
بلدى وأهلى آلاف الأميال ، وبدأت القصة حين كنت فى رحلة عمل  
بالولايات المتحدة منذ سنوات . ووجدتنى قريباً من مركز صى شهر  
بحدى مدن ولايت لوسط الغربى . وتذكرت إخراج طبيى لذى أزوره

بانتظام كل سة للمناعة والاطمئنان ، بأن أقوم بهذا الفحص الجراحي المطلوب ، وكيف أنه يتطلب دخول لمستشفى لمدة ثلاثة أيام ، في المستشفيات العادية . أما في المركز المتقدم لدى لا يعد عى كثيراً من هذا الفحص الجراحي لا يتطلب بقاء المريض بالمستشفى بعده سوى سبع ساعات فقط ، على أن يمضى يومين آخرين في الفندق القريب منه تحت الملاحظة ، ففكرت في انتهاز الفرصة والإقدام على هذه «المغامرة» ، واتصلت من فندقى بالمدينة الأمريكية بطبيب مصرى صديق لى فى القاهرة ، واستشرته فيه أفكر فيه فشجعتى على انتهاز الفرصة . وأكد لى أنى سأكون فى أفضل مكان فى العالم يجرى هذا الفحص جراحى بأكثر الوسائل أماناً ، واستحرت الله سبحانه وتعالى ، واحجت إلى هذا المركز وحجرت عرفة فى الفندق القريب منه ، وحضعت للإجراءات الطبية لمدينة ، وحددت الجراح موعداً لإجراء لفحص فى الثامنة من صباح ليوم التالى .

وفى ذلك لصباح مضى من نومى فى الفندق فاعسلت واصلبت ركعتين لله ، ثم رتديت ملابسى وحمليت معى كساً من اللباسك ، وضعت به بعض الأشياء لنى نصحى الطيب برحصاره معى لاستعمالى خلال الساعات التالية للجراحة وعبرت البحر الطويل لدى يربط الفندق بالمركز الطبى ، واستقبلتنى ممرضة سمراء أدخلتنى إلى غرفة بها عدة أسرة فوق كل منها مريض ، يستعد لإجراء من هذا الفحص ، وبدأت فى إعدادى به وانتهت من عملها فطلبت منى التوجه للاستراحة



منحورة وانظار دورى فيها . وتوجهت للاستراحة فرأيتها حاصّة برجر  
مبوسطى العمر . ومع كل منهم روحته تلتصق به وتحنو عليه ونشد من  
أزره .

وبعد وقت ظسه طويلا جاءسى اممرصة ومعها عملاق أسود . وطب  
مى الصعود إلى فراش متحرك جاء به وفعلت ما طبيا ، ودفع العملاق  
الأسود الفراش أمامه لمسافة طويلة في أبهاء المركز إلى أن دخل بى غرفة  
الجراحة . ووحدت عددا من الأطباء والطبيبات لشابات والممرضات .  
وانتسم الجميع لى فى رفق . وبدأوا عملهم فى إعدادى للجراحة إلى أن  
يأتى الطبيب الكبير الذى سيحريها أو يشرف عليها بمعنى أصح .

وفى هذه اللحظات اقتربت منى الطيبة الشاة وسألتنى باسمه عمر  
ينتظرى من الأهل فى الخارج لتبلغهم رقم الغرفة التى سأمضى فيها  
الساعات التالية للجراحة . فأجبتها ببساطة أنه لا أحد ينتظرنى فى  
الخارج ! ونظرت إلى فى نيت للحظات ونصورت فيما يبدو أنى لم أفهم  
سؤالها بالانجليزية فكزبه على بطاء . فأجبتها بنفس الإحابة وبنفس  
البطاء ! فسألتنى بادهاش : ألا تنتظرى روجيك فى الخارج ؟ فهررت  
رأسى بالنفى .

فرجعت تسال : أليس معك أحد من أهلك أو أصدقائك ؟ فكررت  
النفى ، فصالت لى وهى تتسم فى إشفاق أنت رجل شجاع حقاً !

ولم أكر استشعر فى نفسى م « اتهمتنى » به هذه الطيبة الشاة من  
شجاعة . فلقد كنت خائفا حتى الشخاع طوال اليوم السابق . ومد

حسنت امرى على إجراء هذا المخص الخراحي ، ولم نعب على صور الوقت صورة صديقى الذى ذهبت قبل أسابيع لأعريه فى رحيل تقيمت عن الحياة يرحمها الله ، ولا صوته وهو يحكى لى عن رحلتها ونقول لى : لقيت وحه رها خلال إجراء هذا المخص الخراحي نفسه ها ، بل بسى أمضيت ليلتى الساقية فى نوم مضطرب استعنت عليه بقرص نوم . ونهضت من نومى خائفاً ، ومكتنذا تراودنى الحواصر الكنسة عن اموت فى الغربية بعيداً عن الأهل ؛ حتى فكرت حديا فى حرم حدى ومعدده الصدق عائداً إلى بلدى ، فما أن اعتست وأديت صلاتى حتى وجدت الآية الكريمة " وما تدرى نفس ماذا تكسب عداؤى وما تدرى نفس دنى أرض تموت " تتردد فى أعماقى بقوة ، وتشعر بسكينة عجيبة سرى على فنهضت لارتداء ملابسى ، وجمعت الأشياء التى سأحتاج إليها فى حجرة الإقامة وغادرت عرفى صائها ، متمى بلمحة الكد ، ولم أسعر سلام عريب ، فوائه الذى لا إله سواه بسى سرت فى المنصر الطويل الذى يودى إلى المركز الطبى وطوله لا يقل عن نصف كيلو متر ، وكأنى ذهب للاطمئنان على صديق مريض سوف يحرق حراجه سيطة بعد فليس ، وليس لأننى شخصياً الذى سيجريها .

وتأملت من حاءوا لإجراء نفس الجراحة ، وهم باعشرات وكل منهم معه زوجته ، وكأننى أفرح على مشهد من مشاهد العطف الإيسى لى شير أشحانى وأهتم بملاحظتها فى العلاقات الإسانية ، ولم أسعر سرب . انفسى لأسى وحيد فى هذا الموقف ، لأسى أعرف جيد أسى حتى لو

كنت قد تقدمت لإجراء هذا الفحص لجراحي في القاهرة ، فلقد كنت سوف أتكتمه عن أسرتي وأكابده وحيداً كشأنى في معظم أمورى الخاصة .

وأفقت من تأملاتى التى أثارها ملاحظة الطبيبة لشاة ، على صوت الطبيب الكبير الذى مسحى لى الجراحة ، وهو أمريكى من أصل إيرانى ورددت تحيته مبتسماً ، وأجبت على تساؤلاته ، ثم بدأ عمله ، وأنا منتبه لما محرى حولى لأن الجراحة تتم بالتخدير الموضعى ، وأرقب معه شاشات المونيتور التى تظهر سير الجراحة .

ومن حين لآخر يسألنى الطبيب الكبير عما إذا كنت أشعر بشيء . فأجبه بأننى أشعر بعثيان شديد وطمأنى إلى أنه يعطينى دواء قوياً له . ثم واصل عمله إلى أن انتهى الفحص فى سلام ، وودعنى على موعد لزيارته فى ليوم التالى ، وغادر العرفة إلى غيرها من غرف الجراحة العديدة التى يتم بها هذا لفحص لعشرات من المرضى كل يوم .

ووجدت ممرضة فى الخمسين من عمرها تصعط بيدها بقوة على موضع الجراحة ، وترقب الساعة فى اهتمام شديد وابنسنت لها ممساً وسألها عن الوقت الذى سوف تظل خلاله عى هذ الحال ، فأحاطنى بـ ٢٥ دقيقة بالكمال ، وإلا انفجر يسوع الدم من الوريد كالرشاش حتى يصل إلى سقف الحجرة ! وراقبتها فى صمت وهى تؤدى عملها فى صبر ودأب لى أن نقضت الفترة المحددة بالدقيقة ، ورفعت يدها بحذر عن قطعة شدر التى كانت تضغط عليها بقوة ، واطمأنت إلى أن الجرح لم

يرف ، فاستمت في اطمئنان لأول مرة وهذنتني بالسلامة ، وشكره  
بحرارة .

وبعد قليل جاء العملاق الأسود الذي أدخلني هذه لعرفة ، ودفع  
فراشي أمامه ليعيدني إلى صلاة الاستقبال التي جئت منها قبل ساعتين ،  
وفي الصلاة تقدمت مني ممرضة بديلة شوش وداعبتني صراحة ،  
وقدمت لي كوباً من عصير البرتقال ، ولم أكن قد تناولت طعاماً أو شرباً  
منذ اليوم السابق ، ولكني لم أجد في نفسي رغبة في تناول أي شيء ،  
واعترت للمرضة شاكراً ، ولكن هيهات أن تدعي لنفسي ، فلقد  
أكدت لي أنه لابد من تناول العصير ، بل وتناول طعام الإفطار الساخن  
الذي ستقدمه لي بعده نفيذاً لتعليمات الطبيب ، وحرصاً على أن تتنظم  
الدورة الدموية بعد الجراحة

ولم تفت الممرقة على الممرضة لبدنة المرحه فقالت لي إن هذه هي  
أهمية أن يكون المريض مروجاً ؛ لكي تدعمه زوجته في هذا الموقف نفسياً  
ويحثه على تناول اصعام والشراب ، وتث إحساس الأمان في نفسه ،  
ورددت على ملاحظتها بالابتسام والشكر .

وبعد ساعة قضيتها فوق المراش لتحرك في الاستقبال ، جاء عملاق  
أسود آخر ودفع فراشي عبر ممرات طويلة ، إلى أن أدخلني لعرفة التي  
سأقضي بها ٧ ساعات بلا حراك تحت الملاحظة .

وفي هذه الحجرة استقبلتني ممرضة سمراء أخرى بكوب آخر من  
عصير البرتقال ، سهت عن ضرورة تدوله . هو وكل ما سوف تأتي به

من مشروبات أخرى كل نصف ساعة ؛ لأن بعضت لطيب تقصى  
بشرب السوائل بكثرة بعد المصح الجراحي .

ووجدتني في الفراش وحيداً ومموجاً من الحركة لسبع ساعات ،  
ومضى لوقت طيباً وثقيلاً ، ولم يخفف عني التليفزيون المعلق أمامي من  
ثقله شيئاً ، فإن كنت قد بدمت على شيء في هذه التجربة كلها ، فعلى  
أننى لم أحضر معى كتاباً أحبه ليخفف عني هذا الوقت الثقيل ، وإن  
كنت قد شعرت ذات لحظة بأن عمري الذى قصيت معظمه منكفئاً على  
أوراقى وكتبى وكتاباتى لم يضع هدراً ، فلقد كانت هذه اللحظة حين  
دخلت على سيدنا مصرتان مهاجرتان لأمريك ، وتعملان هذا المركز  
الكبير ؛ لتروراني على غير معرفة في هذه الغرفة ، بعد أن علمت بوجودى  
من أوراق المركز .

وقالت كل منهما إنها تقرأى وتحفظ بعض كتبى وثمنت لى السلامة ،  
وسألتنى عما إذا كنت أحتاج لشيء ؟ فكدت أحييهما بدمعة امتنان  
سخية ، ولكى فاومتها بشدة وقاومتى فما أدري هل غلستها أم عبتنى .  
ولقد أمصينا معى بعض الوقت واستأدنتا فى العودة إلى عمهما ،  
وحظيت بهما فى ليومين التالين بكل العطف والمساعدة والاهتمام فأين  
كانت « الشجاعة » فى كل ما رويت لك ؟

إنه سجن الطبع الذى لا حيلة لى فيه والذى يجعلنى استكثر على  
مضى أى عطاء يقدمه لى الآخرون ، ويجعلنى شديد لامتنان لمن يقدم لى

نيئاً منه ، وشديد التقدير هذا العطاء نفسه لسبب حوهرى ، هو أنى ،  
أكر انتظره من مم قدمه لى ، ولو حجه عني ما شعرت بى يوم يحاهه  
فكأننى فى ذلك ؤمن بما قاله أمير القصة القصيرة أطون تشيكوف  
بعد أن تحدث عن طفولته القاسية :

« كانت طمولتى حالة من العطف ، حتى أنى ما أرال حتى يوم  
أنظر إلى اعطف وكأنه شىء غير مألوف لى ، أو شىء لىست لى خرة  
كبيرة به » .

فإن كانت طفولتى والحمد لله قد حفلت بالعطف والرعاية من  
الأبوين والأهل ، فلقد انتهت هذه المرحلة بالنسبة لى فى سن السادسة  
عشرة ، وواجهت الحياة وحيداً ومعتزاً عن أسرتى ، ومعتماً على نفسى  
بعدها بسوات طويله ، عشت فيها مفرداً بنفسى ومسئولاً عنها .

ولا شك أن هذه الفترة التى طالت لأكثر من ١٨ عاماً فى حياة من  
الروح هى المسئولة عن هذا « لطبع » ، الذى جعلنى أعتاد مواحهه  
مواقف الحياة وحدى ، وأن أكبدها مبرداً ، وأتحفى مهمومى اشخصية  
عن أقرب الناس إلى ، « واستغرب » فى بعض الأحيان ما يقدمه لى  
الآخرون من المشاركة فى مثل هذه المواقف ، حتى ولو كست أسعد بها كثيراً  
بالفعل !





## والأعباء : يعرفون الصلوات

شرت منذ أسابيع في بريد الجمعة -الأهرام رسالة سحرية كتبها أحد الأزواج الممرورين يشكو فيها من زوجته ، ويبتش شكواه منها على هيئة أسئلة على طريقة الفوزير فيقول مثلاً : من لتي إذا قتربت منها نفرت مني ؟ وإذا رعبت فيها ادّعت المرض ؟ وإذا لاطفتها تحهمت في وحيي ؟ ويكرر مثل هذه الأسئلة المذيرة إلى أن يرسم لها في ختام رسالته صورة مخزنة للحياة لروحية ، التي يعيشها ولتي يفتقد الدفء العاطفي والمشاركة الإنسانية والفهم المتبادل .

وما أن شرت هذه الرسالة حتى اهتدت على رسائل « الفوزير » المماثلة من أزواج وزوجات آخرين ، يصب كل منهم شكواه من شريك حياته في هيئة أسئلة متشابهة ، ترسم كلها صوراً مؤسفة للنعاسة والخفاء وافتقاد المودة والرحمة بين شركاء الحياة .

وأذكر أنني قد توقفت أمد إحدى هذه الرسائل التي تحكى فيها رحل عن روحته ، فيقول من بين ما يرويها عنها إنها تحرّص عليه أمد وتتحذّر جيبهم ضده في أي اختلاف في الرأي معهم ، ولو كان رأي لأب هو



لاحرص على مصلحه هؤلاء الأبناء مما يريدون لأنفسهم ، وعلقت على هذه الرسالة بأننى أتلقى رسائل عديدة من أزواج وزوجات ، يصفون مص العلاقة الزوجية التى يعيشونها ، فلا أجد لها وصفاً آخر سوى إنها علاقة «عدائية» بكل ما تحمله كلمة العداء من معن ، وليست حتى علاقة حيادية أو خالية من الحب ولود ، وعلى الرغم من ذلك فلا يفكر أحد الصوفى فى وضع حد هذه العلاقة وتحمل تبعات هذا القرار ، ويعضون على الرغم من ذلك الاستسلام لأقدارهم ومكيدة معاشر الأعداء تحت سقف واحد بدلاً عن معاشر الأحياء ، ويمصون فى حياتهم لزوجية هذه بقوة الفصور الذاتى والعجز عن التغيير والخوف منه ، ومن موجهة الحياة والمجتمع بعد الانفصال ، وليس بأتى دافع آخر حتى ولو كان دافع لحرص على سعادته الأبناء واستقرارهم وصورته أمام الآخرين ، ذلك أن بعض هؤلاء الضحايا قد شت بناءهم عن أطوق ، وفهموا حقائق الحياة ، ولم يعد يصبرهم كثيراً انهيار العلاقة الزوجية الفاسدة بين أبويهم

ولقد تأملت كثيراً مثل هذه العلاقات القائمة على الكراهية المتبادلة والرغبة الخفية لدى كل طرف فى إيلاام الآخر وانتقاصه وإيكا كل فضائله ، واتهامه بكل النقائص .

وساءلت لماذا يحكم لإنسان على نفسه بمثل هذا العذاب إلى م لا نهاية ؟ ولماذا يرمى بمعايشة الأفكار السلبية رغم صرره انفسى لمؤكد له ، ولماذا نشغال الدائم بالدفاع عن النفس والهجوم على الطرف

الآخر طوال الوقت ، وتعجب كيف يمكن أن تكون هذه هي صورة الحياة الروحية لنى أرادها الله لنا سكناً ومودةً ورحمة ؟ فإن حلت من الحب لأسباب لا حيلة لأحد فيها فلا تقل من مودة ، والرحمة ، والحرص المتبادل على مشاعر الطرف الآخر ، ومصحته ونائه .

والحق إننى عني كثرة ما يعتنى لبعض لمعداتي لفكرة الطلاق وتعرض لأبناء الصغار للتمزق بين الأوبس وهدم استقرارهم ، فإني عني الناحية الأخرى أؤمن بأن الحياة لعائلية إذا فسدت تماماً وتعدر إصلاحها فلا خير فيها . ذلك أن استمرارها عني هذا النحو الفساد لا يعنى غالباً إلا تعرض طرفيها للفتنة ولضعف الشرى والسقوط في هاوية خطيئة ، فإن نحن طرفاها من ذلك اعتصاماً بهيئهم الدنية والحلقية ، فلقد قصو عني أنفسهم بالحرمان لأرلى من الرحمة في الحياة الشخصية ، ووقعوا في فح ظلم أنفسهم ومن يعشرونه .

ولهذا فمن الأفضل إذ لم يكن من لبس من الإصلاح بُد ، أن يتصرف المرء في حياته هدى دينه الذى وإكره لا يقصر ، فيه م بحرمه ولم يؤثمه ولم يعمل يد لإسنان فيه ، وقال لنا الخالق العظيم في محكم آياته « وإن يتفرقا يغفر الله كلا من سعته » صحح به سكون هناك دائماً من هذا الحب ضحاً ونو من الناحية المعنوية ، ولكنه عني الناحية لأخرى . من الذى يقبى بمعاشرة « الأعداء » يتحول الحياة الروحية إلى ساحة لحرب الباردة وأحيى الساحة بين لطرفين إلى ما لا مهيبة ، ومثل هذه الحياة الفسدة لا تخرج من الإنسان إلا أسوأ ما فيه وتحفره على الإثم .

والعدوان على الطرف الآخر ، وإهدار القيم الإنسانية والعائلية في  
لتعامل معه .

ولقد نوات رسائل الفوارير في نريد الجمعة طوال عدة أسابيع  
فاستفرت فيها يبدو بعض من يعملون في حياتهم الشخصية بالسعادة  
الزوجية ، فكتبوا إلى عدة رسائل تصف علاقاتهم شركاء حياتهم .  
وتلخص حرة لسعادة الزوجية في بعض النقاط والقواسم المشتركة .

ولأننا نستطيع أيضاً أن نستفيد من دروس السعادة كما نستفيد بكل  
تأكيد من دروس الألم ، فإنني أخص هذه القوسم المشتركة في بضعة  
نقاط استخلصتها من رسائل السعداء على النحو التالي :

\*\* معظم السعداء الذين كتبوا لي عن سعادتهم لم يسبق زواجهم  
قصص حب عنيفة ، وإنما تروجوا في الأغلب الأعم رواجاً تقليدياً ، ثم  
ولدت بسرعة لحب الهادي بينهم خلال فترة الخطبة ونمت وازدهرت  
بالعشرة الطيبة بعد الزواج .

\*\* كل السعداء يتبادلون الإعجاب بعضهم البعض ويؤمن كل  
منهم بأن شركه في الحياة إنسان مميز ويغبط نفسه على الارتباط به .  
ولا ينحى عنه هذا الإعجاب ولا يبخل عليه بالتقدير ، أمم الآخرين  
وخاصة الأهل والأقارب .

\*\* كلهم يتبادلون ما يمكن تسميته بالعطف الإنساني ، فيقدر كل  
منهم للآخر جهاده في الحياة لإسعاد الطرف الآخر ، وإسعاد لأناء

والقيام بواجباته العائلية ، ولا يكتف عن هذا الإشفاق ، ويعبر عنه من حين لآخر بأن يعرض المساهمة معه فى القيام بما يقوم عنه خلاله ، به ينبغى له أن يقوم به الطرف المُجهد .

\*\*\* كلهم بلا استثناء يتفقون على أهمية تكتم أسرارهم العائلية حتى عن أقرب الأقربين إليهم ، فلا ييوحون بأسرارهم الشخصية للآخرين ، ويعترون خلافاتهم العابرة شأن خاصاً لا يحوز لأحد التدخل أو مشاركة فيه ، ويغالى كل منهم فى الحرص على إظهار شريكه أمام الأهل والأقرب فى أفضل صورة ، حتى ولو ادعى فى سبيل ذلك ما لا ظل له من الحقيقة ، فكأنما « يفضح » محاسنه ، ويتستر على نقائصه وأخطائه .

\*\*\* كلهم بلا استثناء لا يقصرون فى واجباتهم تجاه الطرف الآخر ، ابتداءً من الواجبات المادية إلى المعنوية إلى اللفتات الصغيرة التى ترصى النفس ، وتذكر صاحبها بأهميته لدى الطرف الثانى ، كهدية الصغيرة فى المناسبات وكالاتصال بالزوج أو الزوجة للاطمئنان عليه أو عليها خلال النهار ، وكإبداء الإعجاب الحقيقى بكل ما يفعله الطرف الآخر من أجله أو من أجل الأبناء أو الأسرة .

\*\*\* كلهم كم تجمع رسائهم يحكون عن الطرف الآخر ؛ فيقولون إن السمّة لا تغيب عن وجهه ، ولهذا فإن متاعب الحياة كلها تواحه بالانتسامة الحانية وروح التفاؤل ، وليس بالتجهم الكئيب والتشاؤم الكريه والتقطيب المرعج ، الذى يقطع الخيوط الإنسانية بين الطرفين ويحول الحياة معه إلى كآبة دائمة !

\*\*\* كدبهم وبلا استثناء لا يدرسون حياتهم بحياة الآخرين ، ولا يعيهم ما حصله هؤلاء الآخرون في حياتهم من نجاح مادي أو ثراء ، أو ما افتقروا من أشياء أو ممتلكات ، ولا يشعرون بأنهم أقل من الآخرين ، فينصوي أحدهم على المرارة لخاصية تجبه لطرف الآخر ؛ لأنه لم يحقق له ما كان يستحقه من الحياة الأفضل .

وهم في هذه النقطة يمسكون بالعمل بأحد معانيح لسعادة ، وهو حرصا واشعور بدغى الد حلى الذى لا يعدله غنى حارحى ، وكأنهم في ذلك يؤمنون بمعرى الكلمة احكيمه ، لتي قاهد سقرط ذات يوم حين وقف امام متجر ملء بشتى أنواع السلع ، انتى لا يستطيع شراءها فتأملها طويلاً ، ثم قال :

- ما أكثر الأشياء التى لا أحتاج إليها !

ولم يقل « انتى لا أستطيع اقتناءها أو شراءها » لأن ما لا تريده لا تحتاج إليه ولا بسوى شروى تغير بالنسبة إليك ، ولو كان عظيم الأهمية والقيمة لدى غيرك .

وعدة سقراط لحكمة هذه هى التى أصححت فيه بعد شعاراً لمدرسة الصلابة الإغريق الكليين ، الذين كانوا يؤمنون بأن السعادة لا تكمن في الأشياء المادية ، ولا في رحايف الحياة وعوارضها الزائلة ، بل في التحرر من الخاحه ايها ، وهذا فانسعادة في متناول الجميع إذا رغبوا فيها وأقنعوا عسهم بالحرصا عما في أيديهم ، وقنعوا به ، ولم يتطلعوا لحظوظ الآخرين في الحياة ولا لما في أيديهم .

**\*\*** كلهم يجدون متعة الحياة الحقيقية في القرب من شركاء حياتهم ، فإذا تواجدوا معاً لم ينقطع حمل الحديث بينهم طوال الوقت ، ولم يعرفوا فترات الصمت الطويلة ، لأن الصمت اطويل بين اشركاء مظهر من مظاهر الجفاء وانعدام الإيثار وقصر الاهتمامات المشتركة ، وهذا بالأحرى لا يعرفون الصمت ؛ لأنهم في حالة حوار متصل فيما بينهم إن لم يكن بالكلام فبالأفكار والنظرات والتمسكات والعيون ، وهناك دائماً ما يجدون الحديث فيه معاً ، كما احتوا ببعضهم البعض أو جمعهم مكان واحد أما « الأعداء » فلا تتسامرون ولا تتدلون الإيثار ولا يجدون ما يشعر أوقتهم معاً بالكلام الحلو الممتع المديد ، فيغرقون في الصمت الجاف الذي يعمق الهوة بينهم .

**\*\*** كلهم بلا استثناء يستمتعون بعلاقتهم الحسية وينالون إشباعهم فيها ، ويعتبرونها جزءاً مكملًا لعلاقتهم العاطفية ، ولكنها ليست الجزء الأهم ولا الأوحد ، فما بينهم من روابط عاطفية وإنسانية وذكريات مشتركة بشرى أرواحهم أكثر بكثير من اللحظات الحسية العسرة .

**\*\*** كلهم تجمّعهم رؤية متقدرة للحياة إن لم تكن مشتركة أو متجانسة ، ويتحدون من الحياة موقفاً نفسياً واحداً أو مشابهاً أو مقارباً ، وليس بينهم تناقضات حادة في رؤيتهم للحياة ، فليس بين الشركاء السعيدين في حياتها مثلاً تزيث يُعنى القيم لمادة فوق كل القيم ، وشريكه الآخر يُعنى القيم الإنسانية والعاطفية عليها ، وليس بينهم من يكره لشر كراهية حادة ، وشريكه في الحياة يحبهم ويتعامل معهم من

مصنق العطف الإنساي ، وليس بينهم من يتعامل مع الحية من مطور  
شديد التشؤم ، والآحر يتعامل معها من منظور متفائل متتهح باحبة  
واليوم والغد . . . وهكذا .

\*\*\* كلهم بلا استثناء وكما استخلصت من رسائهم تتحنون بروح  
النسامح في علاقاتهم بشركاء حياتهم ، وينسون الإساءة سريعاً ،  
ويغفرون الأخطاء العائرة وغير المتعمدة ؛ لأن من لا ينسامح مع من  
يحب أن ينعم بالصفاء معه ، ولأن الإنسان ولو أوتى حكمة لقمان فلا بد  
له أن يقع في بعض الأخطاء الصغيرة إرادياً أو لا إرادياً ، فإذا لم يجد قلباً  
عموراً تحولت الأخطاء إلى إساءات متعمدة وتراكت في نفس من  
لا يعرف التسامح ، وطللت مشاعره بالمرارة بجهه .

وهذا فأى أستطيع أن أقول إن المحبين الصادقين يتمتعون بسوع  
خاص من الذاكرة ، أستطيع أن أسميه « ذاكرة الحب » وهى الذاكرة  
اللى تسقط منها الإساءات بعد فترة قصيرة من الوقت ، وتحفظ الأشياء  
الجميلة ، فلا تتذكر سواه .

ويكرر صاحبها ذلك كلمة الروائية الانجليزية لشهيرة أجاث  
كريسنى في مقدمة مذكراتها حين قالت : لقد تذكرت ما أردت أن أتذكره  
فقط ، ونسيت ما أردت أن أنساه .

\*\*\* كلهم جميعاً يعطون لشركاء قبل أن يأخذوا منهم ولا ينظرون  
مقابلة أعطوه ؛ لأن الحب فى مفهومه الحقيقى عطاء بلا تحفظات

ولا حسابات ، كما أنه أيضا ليس موراة مالية كموراة الشركات المساهمة  
بين « الأصول والخصوم » وإنما هو عطاء بلا حساب يقبله علنا عط .  
مماثل إن لم يزد عنه من جانب الشريك المحب .

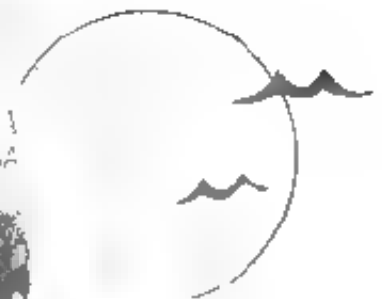
\*\*\* وأخيرا فإنهم جميعا يسكنون سلوك نفسيا متربا تحاه شركائهم وتحاه  
الحياة بصفة عامة ، وهكذا فإن نقاط الالتقاء بينهم أكثر كثيرا من نقاط  
الاختلاف .

وهم في تمازجهم وتقاربهم لا يفقدون حصص شخصياتهم المميزة .  
لأن كلا منهم يمثل دائرة تتقاطع مع دائرة شريكه على مساحة كبيرة من  
التمازج والتشابه ولتفهم ، ويبقى على الرغم من ذلك لكل طرف  
مساحة أخرى من الدائرة ، حارحة عن حدود منطقة التقاطع ، تسمح  
له بخصوصية أفكاره وشخصيته واهتماماته ، فمضى الحدة بالطرفين  
بلا عثرات ولا محن ، وتسير مياه النهر الهادئة إلى مصبها في سلام وأمان  
حتى نهاية العمر .

هذه هي « خيرة السعادة » كما استخلصتها من رسائل لسعداء ،  
التي انتهالت على خلال الأسابيع الماضية .

فترى كم يبلغ نصيبك منها ، وكيف يكون حسبك مع الأمان  
قدمته لك منها ؟ !





محمد قاسم



## المنظرة الأخيرة

الفهرة مساء يوم الأحد . أجلس في مكتبي بمحبة الشباب مودع بين لفياء بواحاتنى الصحفة ومتابعة تنفيذ موضوعات العدد حدد مع المحررين وأعضاء السكرتارية الفنية . وبين واجب الترحيب بشئ من الأصدقاء العائدين من باريس إلى بلدهم في أحارة فصيرة وصديق تالت للطرفين . وبين « اشعل » الآخر احمى لذي يؤرقى وأحول ألا ظهر أثره على في اهتمامى بضيوى ومن حين لآخر أستدير ناحية التليفون وأطلب رقماً وأهمس لمن يحدثنى متسائلا عن الأحوان . ومحولاً لتماس و عن الأصح « استجدء » ية كسمة أو شدة تعبت الطمائية في النفس الفلقة .

في الواحدة والنصف صباحاً كنت قد أنهيت عملى . و « فزت » أخيراً من محدثى في اتليفون بالكلمة التى أتتبع على سمعها منه عن سة إزار الحال . فأنزاح العبء الثقيل عن صدرى . ووحدة تى أستطيع أن أوجه بعض اهتمامى ضيوى الأين انتظرونى صابرين تضع ساعات . ونهضت خارجاً معهم نحث عن مكان في لين لفهرة فصى فيه عص

الوقت ، وتبادل الأحاديث والذكريات الجميلة عن لقاءات عديدة في القاهرة وباريس ، واستقر بنا لمقام في كافيتريا تسهر حتى الصباح ، وتناولنا العشاء واحتسينا أكواب الشاي الساحن اللذيذ ، واندمجنا في الحديث الممتع فسيت في غماره رعبتي في ألا يطول بي السهر خارج البيت تحسناً للطوارئ ، والتمست في الكلمة المبهمة التي « اسنحديتها » من محدثي في لتليفون ما يطمئني إلى استقرار الأحوال ، فتخلصت من حذري واستحبت لنداء الصحبة الوفية ، والذكريات الحلوة مع الأصدقاء الثلاثة ، وأغرامى بذلك أيضا انى كنت قد صرفت سائقي عقب معادرتي لمبنى الأهرام ، وركبت مع الأصدقاء الثلاثة سيارة أحدهم ، فلم يعد يؤرقنى وحود إسان يجلس صابراً في الحوار منتظراً انتهائى من سهرتى .

وعلى غير العادة حميت نار المشاغبة بين الأصدقاء ، وتركت سهاهما على أحدهم ، فحاصرته الأسئلة و « الاتهامات » الضحكة ، وراح هو جاهداً يدفع عن نفسه الأذى بقدر الإمكان ، فيشير بدفاعه المتهافت المزيد من نيران المشاغبة والاثام .

ثم فجأة سمعت « موسيقى » لتليفون المحمول في جيب أحد الأصدقاء ، وطرنا تلهائيه إلى ساعاتنا قبل أن يجيب النداء ، وإذا بها الرابعة صباحاً ، وتساءلنا عنى يكون اطالب في مثل هذا الوقت المناحر . وسمعت صديقى يجيب التليفون بكلمات قصيرة ثم يقدمه إلى صامتاً !

بحمدت نظرتى على يده الممدودة إلى بالتليفون<sup>١</sup> وكدت أرفض الإمساك به  
تهيباً لما يمكن أن يحمله إلى من نأمرعج ، إذ من سوف يخمّن أبى الآ  
في صحة هؤلاء الأصدقاء ، وبجوار « محمول » أحدهم سوى أحد  
لقربين مى بشدة ، وماذا يمكن أن يدعوه بالاتصال بى في الرابعة  
صباحاً إلا إذا كان دفعه لذلك قوياً ومزعجاً !

تغبت على ترددى بعد الحطات وأمسكت بالتليفون فإذا بزوجتى  
تنعى إلى ناكسة أمى رحمها الله وأثامها عن جهادها في الحياة وأحرامها  
الطويلة فيها خير الجزاء !

يا إلهى لقد نفذ سهم القصة في الفترة التي فصلت بين مغادرتى  
لمكتبى واستنامتى خدبث الأصدقاء في هذا المكان البعد عن بيتى ،  
وراحت زوجتى تبحث عنى في مطاىي المحتملة في مثل هذا الوقت من  
الليل ، فاتصلت بالأستاذ أحمد بهجت حيث أمضى بعض سهراتى  
عنده من حين لآخر ولم تجدى ، واتصلت ببعض الأصدقاء فلم يُفده  
أحدهم بحر عنى ، ثم عثرت على رقم المحمود الخاص بصديقى لعائد  
من باريس ، وقدّرت أنى قد أكون بصحبته في هذا الوقت ، فدارت  
الرقم وبعثت إلى الخبر الحزين ، فكف حاب التقدير إذ قد سمعتُ  
من شقيقى في آخر اتصال لى معه من مكتبى أن الأحوال قد مستقرت  
بعض اشياء ، وأن أمى قد استسلمت ليوم مطمئن ، ولولا ذلك لما  
استجبت لنداء الصحة ، ولما أطلت جلستى وسط الأصدقاء ،  
ولسارعت بالعودة لبيتى تحسباً للمفاجآت .

تباغت الأحزان دوماً على غير انتظار مهما كن قد توقعنها ، ومهم  
أكدت لنا لشواهد قرب حلولها ، ونظل نتمسك دائماً بالأمل الوهمي في  
أن تحيب لظنون ، وتتأجل الأتراح إلى موعد بعيد ، وهكذا كن حالي مع  
الحرر الوشيك الذي كنت أتوقه وأدعو الله إلا يعجل به ، وأن يؤجل  
المحيي . فماذا فعلت حين سمعت من زوجتي نعي أمي الراحلة يرحمها  
الله ومددا شعرت به ؟ هل شعرت بالخزن العميق الذي يزنز الوجدان ؟  
هل شعرت بما يشعر به الإنسان دائماً في مثل هذه اللحظة القدرية من  
الأمم ولوحشة ولسعة الفراق ؟ لا أدري ، كل ما أعرفه هو أنه لم يكن  
دخلى في هذه اللحظة سوى الفراع السحيق و الحمود والرعبة المضطربة  
في العودة للبيت والحث عن سائقي لأبدأ رحلة السفر إلى مدينتي  
الصغيرة بالأقاليم حيث يقع منزل الأسرة لآتياً لمشور الوداع الأخير .

كس قبل أيام قد طببت من سائقي رقم تليفون قريب منه ؛  
لاستدعيه في أية لحظة إذا حمم القصء فأعصني رقم تليفون جاري له يقيم  
في البيت المقابل لبيته ، وطلب مني أن أتصل به إذا احتجت إليه ، مهم  
كان الوقت متأخراً ، فتخرجت في تلك اللحظة من الاتصال بخبر في  
مثل هذا الوقت من لصباح المبكر ، ونرددت ، لكن أحد الأصدقاء  
نادول مني الرقم وأداره وسمعتة يرجو محدثه - بعد الاعتذار له عن إزعاجه  
في هذا الوقت - إبلاغ جاره بضرورة الاتصال بي في البيت ، لأمر  
طاري ، فإذا بالرجل الذي ستيقظ من نومه في الرابعة صباحاً لا يعنف  
محدثه على إزعاجه في مثل هذا الوقت المبكر ، ولا يسد من ذلك ، وإنما

يسنشعر بعطرة الإنسان البسيط دوافع الانصال في هذا الوقت ، ويهص  
فيصع الششب في قدميه ويغادر مسكنه ثم يعادر بيته ويعبر اشارة إلى  
بيت حاره ويطرق عليه ببه ويلعه الرسالة مشكورا ومأجورا من رب  
العالمين ، فلا غصى عشرون دقيقة بعد ذلك ، حتى أحد السائق أمام  
شقتى مصاصى معرباً ، ويضع نفسه في خدمتى بلا تدمر

وبسلسل صوء الفجر إليها وأنا وأسرنى في السارة على لطريق إلى  
ما ينتى « دسوق » ، وأصل إلى بيت الأسره قبل اثممة صحاء ، فأجده  
بموح بالأهل والأقرباء والأصدقاء انحصير من الرجاء والساء ، وأعر  
باب البيت ، فأحد بعض الأهل ولأصدقاء في لدور الأرضى منه ،  
فأثقب عزاءهم شاكرأ هم عطفهم ، وأصعد ساقين حترين إلى الدور  
الأعلى ، فأعر في طريقى إلى غرفة نوم أمى يرحمها الله بصاله مزدحمه  
بسيذاب الأهل والأصدقاء ، متشحب بالسواد ، وادخل الى العرفة فأراه  
في فرشها الأثير معطاة بملاءة بيضاء ، في نفس لموضع لذى بركتها فيه  
آخر ربارة ها ، قبل يومين فقط ، فأقف أمام العرش حامداً بلا حرك ،  
وأقرأ فاتحة الكتاب بصوت منهدح ، ثم أخرج من حى مصاصى ،  
وأقرأ فيه ما تيسر لى من آى ذكر حكيم ، وتلحق بى شقيقتى ثم  
شقيقتى ، ثم بفجر فى أعماقى فحة يسوع الحرن الدفين ، وينساب الدمع  
المريز ، وتصلب مى شقيقتى وشقيقتى الحروح من العرفة ،  
فاستمهيه بعض لوقت وأجلس إلى مقعد قريب بعد أن حارت سافى  
وعحرتا عن حملى ، وأواصل القراءة الدامعة لوقت طويل ، وتلح

عن شفتى مرة أخرى في الخروج ، فأطلب منها أن تكشف لى عن وجه  
أمى لألقى عليه النظرة الأخيرة قبل أن تغيب عنى صورته للأبد ، وتفعل  
بعد تردد قصير وتأمله للحظات وألحظ صفاء العرب ، وأنحنى على  
جبهتها لأقبلها القبلة الأخيرة ، وتلمس شفتى جبهتها فأشعر ببرودة  
الثلج فى شفتى لفترة طويلة بعدها ، ثم أعيد لغطاء إلى موضعه ،  
وأغادر العرفة هابطاً الدرج إلى حيث الأهل والأشقاء ، وأنا أشعر بأن  
حرراً غالي من نسي وحياتى قد مات ، ولم يعد هناك من أمل فى  
استعادته مرة أخرى !

تقول الحكمة البودية القديمة إن الطفل بلا أب كالبيت الذى بلا  
سقف ، وأن الإنسان حين يفقد أمه - مهما كان قد بلغ من العمر - فإنه  
يفقد لسقف الذى كان يحميه من صواعق السماء ، ويصبح بلا غطاء  
يحميه من عوامل الترية ، ويفقد فيه يفقد برحيل الأب الإنسان الوحيد  
فى الدنيا بأسرها الذى يسعده أن يكون هو أفضل منه .

أما حين يفقد أمه - ومهما كان قد بلغ أيضاً به لعمر - فإنه يفقد  
الأرض التى كان يقف فوقها مطمئناً ومستشعراً الأمان والاصمثن .  
فيصبح معلقاً فى الهواء ، لا أرض تحته نشعره بالاستقرار والثبات ، ولا  
سقف فوقه يحميه من صواعق السماء ، ولا حدود يرجع له ولا مرفأً  
تؤوب إليه سفينة كلما اضطربت بها الأمواج .

ونقد كانت أمى يرحمها الله هى المرفأ الآمن الذى يرجع إليه الأبناء من  
سفارهم الطويلة فى دروب الحياة ، ويلتقى عنده « الغرباء » الذين

تفرقت بهم سُبل الحياة ، ويعصم وحودها في الحياة عقد الإخوة المشتتين  
في البلاد من الانفراط ، فأى مرفأ آمن سوف يرجع إليه الآن ، وقد عاب  
الأمان والاطمئنان إلى الأبد ؟

وتمضى المرسوم الحزينة في طريقها المرسوم ، وألحظ كما لحظت من قبل  
أن معظم ما يؤدي خلال هذه المراسم مقبل أجر معلوم ويقوم به  
مختصون محترفون في أوروبا وأمريكا ، إنما يؤدي في بلادنا تطوعاً واحتساباً  
وطلباً للأحر العظيم من رب العالمين ، كما ألحظ أيضاً أننا وبحر  
أصحاب الحزن المقيم نكاد نقف كالضيوف وسط الآخرين من أهل  
المروءة والشهامة ، الذين يقومون عنا بكل ما يسغى لنا أن نقوم نحن به في  
هذه المناسبة الحزينة ، وأعجب لطبيعة المصريين التي لا تنفر من  
المشاركة فيما يحل الإنسان الأوروبي أو الأمريكي من أن يشارك فيه من  
المراسم والإجراءات الحزينة ، فيتطوعون للهوض به دون أصحاب  
المصاب وينحونهم عنه ويتهللون لقيام به طلباً لمثوبة الخالق العظيم

وأناقش في ذلك بعد عودتي للقاهرة مع صديقي أحمد بهجت  
فأجذني أقول له مسئلاً : أى دافع آخر يمكن أن يدفع سائناً للقيام به  
يخفى منه الآخرون ، سوى دفع الدس ورجاء المثوبة من رب  
العالمين؟ ويتدخل صديق آخر في المناقشة فيفت نظراً إلى أن من  
يتطوعون لحمل الجثمان إلى مستقره لأخير ، وهم عادة من فضلاء الدس  
الدين يسرون لمسافة صويلة على الأقدام ، إنما يقول أحدهم للأحر ،  
وهو يطلب منه أن يحى له مكانه تحت الجثمان لبعض الوقت : أحرني !



انى دعى أحص على بعض الأجر الذى قد حصلت عليه من الله بمشاركتك فى عمله ، فلا يرد الآخر رجاءه ، لكنه لا يتعد عنه طويلاً .  
وإن يرجع إليه بعد دقيقتين على الأكثر ، ويقول له نفس الكلمة :  
« احرنى » ويرجع إلى موضعه السابق ، إلى أن يرجوه آخر أن يقاسمه بعض الآخر من رب العالمين ، فאלلهم لا تحب أحرى ومثوبتك عن أهل الفضل العظيم أمين يا رب العالمين .

أف فى السراى الكير لمقدم أمام مرل الأسرة ، وقد أدن امؤذن  
نصهر ، فأفاجأ بالأصدقاء لثلاثة الدير كانوا معى قبل ساعات فى  
القاهرة ، وقد وصلوا لاهثن فمتى ناموا ومتى اسقطوا من نومهم ،  
وكيف قطعوا رحلة لساعات الثلاث من القاهرة إلى مدنى بالأقلية ؟

عابت الأصدقاء على تحشمهم متاعب السفر بلا نوم فرفضوا عتابى  
لائمير ، وعدت من فوجئت بهم بعد حين قادمين من القاهرة وشكرت  
هم فصمهم ومروءتهم ، راحياً من المولى أن يحسن مشورتهم على عطهم  
وكرمهم فتجاوزوا عن عتابى عاتين .

ثم ملت العتاب بعد ذلك حين تكاثر اقامون من القاهرة « موجه  
بعد موجه » من الرملاء الأعراء بالأهرام ومن الأصدقاء ولأحباء طواى يوم  
الوداع الحزين ، وحتى بعد منتصف ليل وانفضاض لائم ، وطوال  
اليومين التليين حتى سألت نفسى حائراً كيف أرد لكل هؤلاء لأحب  
ديونهم الثقيلة فى عنقى الضعيف ؟

سمصريين فى العزاء وانواساة تقاليد أصيلة ، لم تؤثر فيها بعد

الحضارة المادية ، ولم تجفف مساعها ، ولسوف تبقى في أعنف إلى لاند  
الآبدین : لأنها ترتبط لديهم بالدعث الذي لا يقبل لتعبير ، وهو  
لدعث الدينى الذى يعد أصحابه بالأجر العظيم عن كل خطوة يخطوها  
لساعى في مواساة الآخرين والتحفيف عنهم ، فلن لم يكن هذا الدعث  
وحده هو المسئول عن ذلك ففى دافع آخر يمكن أن يدفع إنساناً لأن  
يعطل مصالحه ، ويهجر أعماله ، ويركب الصعب في سمر طوبى لبقول  
لإنسان آخر كلمة عزاء ومواساة ؟ .

بل وماذا يدفع إنساناً لأن يسير في موكب حزين مسافة تريد عن  
الكيلو متر في وداع راحل ، ثم لا يكتفى بذلك ، وإنما يرجع في المساء  
ليجدد العزاء لأهل الراحل الكريم ؟

ومن هم هؤلاء الأشخاص الفضلاء الذين يصعبون أنفسهم في خدمت  
مد الصباح الساكر حتى ما بعد منتصف ليل ، يُصفون المقعد  
ويستقبلون الضيوف ويهرونون لقضاء خوائج ويتحفزون نسبة أية رعة  
أو إشارة من أهل المصاب ؟

لقد كدت أتصور أن بعضهم من طلاب لعطاء المادى بعد انتهاء  
الحراسم ، فإذا بى أكتشف أنهم جميعاً من لفصلاء لمطوعين ، وأن  
بعضهم من أصدقاء الطفوة القدامى لإحوى ، وأن هذا هو حال الأهل  
الطيبين في الربف المصرى الأصيل ، فبهم أشهم عد خير الثواب ،  
وأجزل هم من عطئك ما لا يدايه شىء من عطاء لبيب كنها ، فقد  
خففوا عنا الكثير والكثير .

ولقد مصت أيام العزاء الثلاثة فلم بُت حلاها في بيت الأسرة ليلة واحدة، أو لم يسمح لي لأحباب بمعنى أصبح بذلك فتناوتُ الميت ليلة بعد أخرى في بيوت الأحباء من أصدقاء الطفولة، ولقد ترك أحدهم عمه وأسرته في الإسكندرية، و « أقام » معي أيام العزاء الثلاثة في مدينتي وأمضيت إحدى الليالي في بيته القديم بدسوق .

فكان في اشعالي بهم واشعاهم بي ما شعني عن الانفراد بنفسي والاستسلام لحزبي . حتى لقد ملّت نفسي باطنياً على إحساس عجيب راح يؤرقني طول هذه الأيام الثلاثة ، وهو أنني لم أجِد الوقت الكافي ولا الفراغ المطلوب لكي أحزن حزناً كافياً على رحيل أمي وعباسها الأبدى عن حياتنا ، وكدت « أحزن » هذا الإحساس نفسه ، لولا أن تذكرت أنني قد قرأت في رواية السكرية للعظيم نجيب محفوظ إن هذا الإحساس نفسه قد ساور كمال أحمد عبد الجواد عقب رحيل أبيه عنه ، فقال لنفسه في حوار البطي هذه العبارة التي وحدثها تردد في داحلي طوال تلك الأيام :

- اني حزين با أسى لأننى لم أحزن عليك كما بسغى !

وأدركت أنه قد يكون إحساساً مألوفاً في الأيام الأولى من الرحيل ، وأن الحزن العائر إنما يبدأ كالطفل الوليد ، ثم يعمو ويتعمل مع الوقت قبل أن تؤدي الأيام دورها الحالد معه ونحيله إلى حزن هادئ مرة أخرى ، فكأنها دورة أخرى كدورة حياة الإنسان تبدأ بطفولة ثم اشباب ثم الشيخوخة .

أما الحزن فإنه لا يعبر عن نفسه التعبير الصحيح في صدمة الأيام  
لأولى حزن بشعل الإنساق بواحيات عديدة ضرورية ويحيط به الأصدقاء  
من كل جانب ، لكنه يتسلل إلى النفس ويتكثف تدريجياً ، بعد أن  
ينفص الزحام ويرجع للإنسان إلى حيانه العديدة ويسشعر مرارة الفراق  
الأبدى .

ولقد تذكرت فيما أعقب ذلك من أيام ذلك المثل لأفريقي القديم  
لدى يقول « إن الإنسان لا يموت مرة واحدة وإنما مرتين ، مرة حين  
يرحل أبوه عن الحياة وأخرى حين تؤذن شمس حياته هو بالغيث ،  
ووحدتني أصيف إليه تعديلاً جديداً فأقول بل هي ثلاث مرات وربما  
أكثر مضيئاً إلى ذلك رحيل الأم ، ورحيل ثمرات القلوب عند المبتئين ،  
ولهذا ماتت أمي رحمتها لله مرتين ، قبل أن تؤذن شمس حياتها بالنعروب ،  
حين ذاقنا علقم الشكر مرتين خلال عمرها المليء بأحزان الفراق ، رحمتها  
لله وأحسن مثوبتها بما صبرت وما بصبرت عنه من آلام وأحزان ، وأعمر  
اللهم بفضلك وكرمك كل من واسانا في رحيلها عن الحياة ، وعصواهد  
الحديث الحزين الذي نطقنا به عليك ، ولم نكن النفس لسمح لي  
بغيره في مثل هذه الظروف . . والسلام .



## موعد مع الربيع

كان الأستاذ الجامعي يلقي محصرتة على تلاميذه كعادته في مثل هذا الموعد من الضحى كل يوم ، وكان الوقت ربعا وقد كتست الأشجار أوراقها حصراء الراهية وتفتحت الورود بألوانها الحميدة . واحفب سحب الكثيفة لتي طُلت الدنيا طوال شهور الشتاء لكثينة ، فحنت من لأستاذ بصره من الدفء إلى حديقته المحيطة بالمكان ، فتأمها بعمق كأنها يراها لأول مرة . ثم صمت فجأة وعاب عن المحاضرة والدرس وكل شئء لمحطت ، استرد بعده نظرتة من الدفء إلى طستة ، وقال لهم داهلاً وكأنها تحدث نفسه : عفواً لن أستطع استكمل المحاضرة لأننى على موعد مع لربيع !

ثم جمع أوراقه وكتبه ووضعها في حقيسته الجلدية ، وعاد رده اندرس بخصوات مسرعة ، ولم يرجع إليها بعد ذلك مرة أخرى بقية حياته

ام هـ الأستاذ « حرى » فهو الفيلسوف لأمركى جورج ستبانا اندى ولد في إسبانيا لأم إسبانية وأب أمريكى ، وانتقلت به أمه مع روحها لثانى إلى أمريك ، ودرس في جامعة هارفرد لأمرىكية ، ومخرج

روحها الثنى إلى أمريكا ، ودرس في جامعة هارفارد الأمريكية ، وتخرج فيها ثم اشتغل بتدريس الفلسفة في احامعة نفسها عقب تخرجه ، وعمل محضراً لمدة تسع سنوات ، ثم أستاذاً مساعداً لتسع سنوات أخرى ، ثم أسناداً لكرسى الفلسفة بالجامعة إلى أن دأهته اللحظة التى قرر فيها أن يعبر حياته كلها ، وهو يقترب من الخمسين من عمره ، فمحر مهنة التدريس لى لم يجد نفسه فيها عام ١٩١٢ ، ومحر أمريكا كلها لى لم يكن سعيداً بحياته على أرضها ، وسافر على أرضها ، وسافر إلى أوروبا وراح يتنهل بين مدينة أكسفورد فى انجلترا ، وروما فى إيطاليا وعدد اخر من المدن الأوروبية حتى مات بعد حوالى ٤٠ عاماً من « حطة لتوير » هذه ، ورحل عن الحياة عام ١٩٥٢ ، وهو فى لتسعة ولثمانين من عمره .

وحلال هذه الفترة التى تحرر فيها من قيد حياة لم يحها ، وعاش حيه كما أرادها نفسه ، أصدر أهم مؤلفاته الفلسفية التى شكلت مذهبه ، وعاش معتمداً على مدخراته القليلة التى جمعها من سنوات تدريس بالجامعة ، ومن أرباح كتبه ، وأعانه على ألا يحتاح إلى دخل الوصينة وقيوده مرة أخرى ، أنه عاش حياته كلها راهدًا فى لترف ومطهر الثراء ، يكفيه القليل كى يحيا سعيداً يمكر ويتأمل جمال الطبيعة والعلاوف الإنسانية ، ويدع كالطائر الحر الذى ينتقل من شجرة إلى أخرى متحرراً من كل القيود .

نرى كم ما من يستطيع أن تحرر من قيود حياة لا يحها أو عمل

لا يجد فيه نفسه ويلحق بموعده مع لربيع دات يوم ، كما فعل هـ  
الفيلسوف الأمريكى ؟

إن كثيرين منا قد يشتكون من حياتهم التى لا يستشعرون فيها  
السعادة ، أو من عمل فرضته عليهم ظروف حياة ، أو من إقامة فى  
مدينة صرخة لا يستشعرون فيها الراحة ، ومع ذلك فهم لا يفكرون فى  
تغيير حياتهم ، واختيار العمل أو الحياة التى تتوافق مع أفكارهم  
وطموحتهم إما عن عجز عن تحقيق هذا التغيير ، وإما عن خوف من  
نزعته ، وإما عن افتقاد لمجرة النفسى التى يتطلبها اتحاد مثل هذه  
الخطوة المصيرية ، وليس من عائد لاستمرار التشكى من حياة  
لا يستشعر فيها الإنسان السعادة ، مع استمرار العجز عن التغيير إلا  
المراة وتكدير صفو الحياة ، واستنزاف طاقة الإنسان النفسية فى السخط  
والشكوى والأنين إلى ما لا نهاية .

أذكر أن شاباً مصرياً مهاجراً إلى ألمانيا منذ عشر سنوات ، قد ألح على  
سكرتيرتى بضع مرات برغبته فى الاتصال بـ نديفونيا من المدينة الألمانية ،  
لتن يقيم بها ؛ لأنه كما قال ها فى أشد الحاجة لأن يتحدث معى وبشئ  
عصر شحونه ، ورددت على مكالمته فراح يروى لى قصة هجرته لألمانيا ،  
وكيف سافر إليها على غير رغبة أمه لى كنت مرتبطة به عاطفياً أكثر من  
بقية إخوته ، لأنه الأصغر الذى يقيم معها فى مسكن واحد ، فى حين  
تزوج بقية الإخوة واستقلوا بحياتهم ، لكن أمه فى النهاية لم تشأ أن  
تعترض طريق أحلامه ووافقت كارهة على سفره .



وهاجر بالفعل إلى ألمانيا فلم يمض على سفره إليها أكثر من ٤٠ يوم فقط ؛ حتى رحلت عن الحياة ولم يستطع أن يودعها الوداع الأخير . وواصل حياته في مهجره الجديد مكابداً الأحاسيس المؤلمة بالدنوب تحه أمه . التي رحلت عن الحياة حزينة لفرافه . وواحه في غربته أهوالاً عديدة حتى تمكن في النهاية من تحقيق نجاحه وتصحيح وضعه القانوني في المهجر وحصل على الإقامة ، وسوى موقعه من التجنيد في بلده ، فاستصاع أن يرجع إليها بعد صع سنوات لزيارة لأهل والعودة للمهجر بغير مشاكل قانونية .

وتقدم في عمله ؛ حتى أصبح مديراً لأحد فروع سلسلة شهرة لمطاعم الوجبات السريعة في ألمانيا . واشتهر في عمله بالكرم والصرامة والتفاني ، واختاره رؤسائه لإصلاح أوضاع فرع يحقق الخسائر بدلاً من الأرباح . وتسلم إدارته فلم يمض عام واحد ، حتى كان هذا الفرع قد تحلص من حسائره ، وحقق أرباحاً محزنة ، وانضم إلى قائمة الفروع الباححة ، ولكنه ليس سعيداً بحياته ولا بعمله ، على الرغم من كل ذلك . ولا يعرف سبباً محدداً لتعاسته . ولا يعرف سوى أنه غير سعيد بالجراح ، ولا بالمدخرات التي جمعها ولا بالشفة الفاحرة التي يستأجرها ، ولا يجد ما يبعه بعد انقضاء ساعات عمله ، ولا في عطلة نهاية الأسبوع

وقد يقضى في عمله بضع ساعات إصدية كل يوم ؛ لأنه لا يجد من يتحدث إليه إذا رجع إلى شقته الخائبة ، وقد يذهب إلى العمل في عطلة نهاية الأسبوع ؛ لأنه يشعر بالاكثاب والحرن حين يقضى العطلة وحيد

في مسكنه ، وهو يحقق النجاح في عمله ، ولكنه لا يحب هذا العمل ولم يتمناه لنفسه ، وهو يقيم في مدينته المادية ، ولكنه لا يحب حياة في ألاب ويشكو من جفاف المشاعر وبرودة العواطف واحياة الصارمة التي يحبها البشر هناك ، ويشعر بالحنين إلى سده وأهله واحوته ومرايح الطفولة ولصبا واصدقاء الماضي الحميم ، وينتقد أمة سدة زعم مرور عشر سنوات على رحيلها عن الحياة ، ولكنه على الرغم من كل ذلك لا يفكر في إنهاء هجرته ولعودة للاستقرار في بده مع أنه يستطيع من الناحية المادية أن يفعل ذلك إذا أراد .

وقد سألته في ختام محادثته طالت لما يقرب من لساعة ولماذا تعيش في بلد لا تحب اخية فيه ، وتمارس عملاً لا تشعر بالرض عنه ، وأب ودر ماديّ على أن تحب حيث تريد الحياة ، ونعمل بها بحب من الأعمال ؟ ولم يجد جواباً مقنعاً على اسؤال ، ولم يُرد عن أن قال حراً ، به يد التعبير ، ولكنه غير قادر عليه ويطلب مني أن بتصل بي مرة كل أسوع ، ليشركني معه في شحونه وهمومه إلى أن يجد في نفسه القدرة على الاحير بين أن يرصى بحياته الجديدة ويتواءم معها ، أو يرجع إلى سده ويجب احياة التي يريد لها ويرضى بها ، ويقل سعت مثل هذا القرار المصيري .

وليس هذا الشاب وحده هو الذي يواجه هذه الأزمة ، فكثيراً من أحب مكالمات تليفونية ممثلة لشباب مهاجرين إلى دول لعدم المخلصة ، وأحدهم راح يتصل بي من نيويورك وضع مرات كل سبوع لفترة طويلة ،

ويبكي وهو يحدثني عن همومه وتعاونه ، إلى أن نحتت بعد عاء طويل في التوصل معه إلى صيغة ملائمة تسمح له بمواصلة حياته في مهجره غير لاقطاع عن أهله وأصدقائه في بلده ، وكان مما بصحته به أن يحسم أمره ويختار حياته ، فإن لم يكن قادراً على العودة إلى وطنه لأسباب اجتماعية ومادية فليقبل حياته في مهجره ويكتشف جمالها ويثرى حياته بالعلاقات الإنسانية ، التي تعث الدفء في نفسه ، ويرجع إلى بلده كلما اشتدت عليه ضغوط الحياة ومرص الحنين للوطن ليعيد شحن طرقاته بالزاد العظمى والإنساني ، ويرجع إلى حياته الحديدة وعمله ، بقدرة أفصص على المقاومة والاستمرار

وأرمة الاغتراب عن الأهل والوطن ليست وحدها أبرز هذه الأزمت النفسية ، التي تتمثل فيها مشكلة أمر الإنسان في التعبير وعجزه عنه لأسباب موضوعية أو لأسباب نفسية ، فكثيراً ما استقبل زائرات وزوار يشكون إلى من ضيقهم بحياتهم الشخصية ، وعجزهم عن مواصلة احتماها ، فياد سألتهم ولماذا لا يغيرون حياتهم إذا كبو قد وصلو بالفعل إلى نقطة العجز النهائي عن التواءم معها ، تلقيت الإجابة التقليدية ، وهي : لا أستطيع مواجهة تبعات التعبير ! أو لا أقوى على مواجهة اجتماع المحيط بى إذا أقدمت على هذه الخطوة القصيرة ! فيكون تعليقي على هذه الاحابة ، هو أن ما يعجز عن تعبيره لا مفر لنا من احتماله ولتواءم معه ، والصبر بأوقات حياتنا القصيرة أن تبدد في معاناة لا طائل من ورائها .

ويكون تعليقى أبصاً أن الإنسان مسئول مسئولية كاملة عن حياته الشخصية ، فإن شفى بها لأسباب قدرية لا حبة له فيها ، ولم يكن راعباً فى تغييرها ترجيحاً لاعتبارات إنسانية سامية كسعادة الأباء فلا بأس بذلك ، لكن عيه فى الوقت نفسه أن يحاور تحميم احسائر ولكف عن اشكوى والأيس ، ولرصاصا عن اختياره لأن يحى حياه لا تحقق أحلامه فى اسعادة الشخصية ، ترجيحاً سعادة من يتحمل أمانة المسئولية عنهم ، أما استمرار لرفض لمثل هذه الحياة ، واستمرار العحر أيضاً عن تغييرها فلا عائد له ، لا المراءة والكآه ، وفقد القدرة على تدوق جمال الحياة

والإنسان ملزم بأن يتحمل مسئوليته عن الحياة التى سعى اليها بإرادته لأن النكوص عن ذلك حين وهروب وأتانية ، وملزم أيضاً بأن يسعى إلى تغييره ، إذا عجز مهتياً عن احتماها ، ولم يكن لإقدامه على التعبير ضحايا من الأعراء والأرباء ، ذلك أن النكوص عنه يصبّ جس وحبة للنفس !

ومارلت أذكر حتى الآن تلك السيده احمية ، التى أمصت ساعة كاملة تسكى فى مكنى ، وهى تحكى لى عن معاناتها مع زوجها الذى لم تحب منه لأسباب تتعلق به ، ومن حياتها متكررة له ، وإيدائه انفسى هـ حتى مات حب فى قلبها تحاهه منذ سنوات صويله ، فما أن توقفت قليلا لالتقط أنفاسها حتى سألتها مدهشاً : وماذا بصطرك لاحتمال حية لا تحقق لك إلا التعاسة ، ونحس لا نصح من بشفى حياته الخاصة باحتماها إلا من أحل هدف سبل هو سعادة الأباء ؟ فإد

بها تخشى التعبير ، ونكره أن تواجه المجتمع من حوله ، وهى مطلقة ؛  
ولهذا فهى تحتل حياة لا تسعد بها ولا ترغب فى تغييرها ! وهذا  
تقديرى هو الحزن عن مواجهة الحياة والمجتمع « والخيانة » الحقيقية  
للنفس !

لقد فعلها الفيلسوف الأمريكى ذات يوم بعيد ، حين مثلك  
الشحاعة لنفسه التى مكنته من الإقدام على التعبير .

وكم ما يطلع لمثل هذه اللحظة القدرية لى يستطیع فيها أن يقول  
لعمل لى لا يحبه ، والصحة التى لا يستريح إليها ، والحياة التى  
لا ترضيه : عفوا إننى على موعد مع الربيع !

## أشياء لا تعوض

هل تحزن كثيراً حين تفقد صداقة أحد ؟

أكثر اسم يسمعون ذلك وأنت وأنت منهم غير أن بعضاً قد يرفض الاعتراف لنفسه بهذه الحقيقة أو « يحلل » منها ويعتبرها ضعفاً لا ينبغي به ، مع أن الصداقة الحقيقة ثروة عالية يستحق أن يجر الإنسان كتبه حين يفقدها ، وأن يصطرب معنويًا ووجدانيًا كلما فقد حراً شيئاً منها

فإذا كنت ترى حولك بعض من لا يحزنون لفقد صداقة أحد ، فاعلم أن هؤلاء لا يصلحون أصلاً للصداقة ولا يعطون من أنفسهم ومشاعرهم لأحد شيئاً لأهم متوحدون دائماً مع أنفسهم ، ولا يعرفون من معنى الصداقة إلا معنى الاستفادة من الصديق ، فإذا حقت مذبذبه و صاق بكثرة ما يُعطى هم دون أن يأخذ منهم شيئاً ، ويصرف عنهم ما يأسفوا لفقدته ، بقدر ما أسفوا على ما كانوا يجنونه من وراء صداقته . وهؤلاء هم في كل مرحلة من العمر أصدقاء مرحليين ويتبدلون صداقاتهم ، كما يتبدل الإنسان ربطة عنقه بلا مشاكل !

والإنسان لعقل هو من يكسب صديقاً كل يوم ولا يحسر أحداً من  
أصدقائه ، وهو أيضاً من يحزن حزناً شديداً حين يفقد صديقاً محمصاً أو  
تقطع بينه وبينه الصلات ، أو تتدخل ظروف خارجية لإفساد الصداقة  
أو القضاء عليها .

والإنسان مُحاط دائماً بالمعارف وأصدقاء العمل والعلاقات  
الاحتمالية ، لكن أصدقاء الروح من بينهم دائماً قليلون ، وإذا فقد  
أحدهم محسبته فيه ودحة ولا تعوض ؛ لأنها تعنى فقد جزء ثمين من  
روح الإنسان وذكريته وعمره ، ينقصى بانقصاء صفحة هذه الصداقة .

ومد فترة قصيرة قسيت وربراً معروفاً كثرة معركته لتي خاصها مند  
نوى لورارة ، وكنت أعرفه - قبل أن يشغل منصبه - كثير لأصدقاء  
والعلاقات الاحتمالية ، وحاء لقائى به هذه المرة مصادفة فى حفل عام  
فسانى . نادى لترسل لى كتبك الأخير لذى قرأت عن صدوره فى  
الصحف ؟

ولا أعرف مند تجبت سؤاله هذا سؤال آخر ففت له . وئين تجد وقت  
لنراءه وئنت مشغول دائماً بمهامك العديدة ومعركت الساحة على كل  
الجهات !

فإداه يجيبى فى المراتش قبل اليوم ، وأن أقرأ قبل اسوم وأضيق  
بالقارير الرسمية وقراءة الصحف وبالوحدة وبالأرق ، فأقرأ الأدب  
بعض الوقت ، لأهدى أعصدي ، ونسى كرسى وحذف حياتى ،  
وهوانى على الناس !

وبأملت إجابته ضويلاً ولم أعجبها : فكأن إنساناً وحيداً في أعرفه  
ولو اشتد الزحام حوله وكثرت شواغله ، ولا يخفف عن بعض وحدته  
الداخلية إلا دواء لعاطفة الصداقة ودواء مشاعر الصداقة المخصصة .

غير أن أنواء الحياة قد لا تدع بعض الصداقات على حها ، وهي  
تمنحها أحياناً بالاحتنازات النقاسية ، فيصمد منها ما يصمد ويهرم  
أمامها ما ينهزم . وأفسى هذه الأنواء هي تصريف لهدى التي تفرو بين  
الأصدقاء بلا رجعة ، ولعلى مارلت أذكر حتى الآن صورة وجه الكاتب  
الكبير لأستاذ محمد حسنين هيكل ، حين رحل عن الدنيا صديقه  
«التاريخى» جمال عبدالناصر وكيف شعرت - كم عبرت لعصر أصدقائى  
وقتها - بأن هيكل يبدو لى ، وكأن أحداً قد شق جسمه بالطول من  
الرأس إلى القدم بالسيف ، واقتطع منه جزءاً عالياً هبعت أن يرجع  
لموضعه مرة أخرى !

ولست أميل للاعتقاد بأن بعض هذا الأثر كان يرجع إلى دواعى دائية  
لدى هيكل كالخوف من فقدان النصر أو الهود أو المكاة ، ولقد أنست  
تجربة الأيام أنه أقوى من كل ما واحه من أحداث وتطورت بعد ذلك ،  
لكنها خسارة فادحة حقا أن تفقد من لا تحتاج معه إلى شرح طويل لكى  
يقهم عنك أفكارك ، ولا تحتاج أب إلى مقدمات طويلة منه لكى تفهم  
حواطره وهو حسه وأفكاره ، ولقد قبل عن صداقة هيكل بعد النصر  
أنها كانت قد تعمقت فى السنوات الأخيرة من عمر عبدالناصر لكى  
يتوارن مرة أخرى ، ويعوض فقه لنلت الصداقة التاريخية ، تماماً كما



فعل الأديب ووزير الثقافة الفرنسي الأسبق أندريه مالرو ، بعد فقدته لصديق « تاريخي » آخر هو الجنرال ديغول ، ولقد قيل الكثير عن سر استمرار صداقة هيكل وعبد الناصر منذ التقى الاثنان لأول مرة وصمودهما في وجه كل المؤامرات والدسائس ، والعواصف ، في حين تصدعت واهارت صداقات عبد الناصر بمعظم رفاقه من ثوار يوليو ، وشغل هذا اللغز كثيرين ممن كتبوا عن ثورة يوليو وتطورتها وتعجبوا له ، وكان منعت عجبهم هو ما يعرفون عن صعوبة استمرار صداقة من هذا النوع في أحواء السبطة ، التي قل عنها الحسن النسي ملك المغرب في مذكراته : « أنها كالرحى الدائرة إذا اقتربت منها برفق صقلتك ، وإذا اقتربت منها بشدة جرحتك وأدتك » .

غير أن الراحل حلمي سلام قد كتب في مقال له قيس رحيله عن الحياة ، أنه نافش هيكل في ذلك فصر به استمرار صداقته بعبد الناصر رغم كل الدسائس والمؤامرات ، بأنه قد ألزم نفسه معه شيئين أساسيين : ألا يكون صغيراً في عينيه فيعتاب عنده زملاءه أو يدس لهم ، وألا يطب منه شيئاً شخصياً لنفسه أو لأسرته .

ولا شك أن هيكل قد التزم بذلك بالفعل في علاقته بعبد الناصر ، لكي اعتد ان هناك عاملاً ثالثاً ، كان له أبلغ الأثر في استمرار الصداقة ودوامها ، وهم دكاء هيكل نفسه الذي جعل احتياح عبد الناصر إليه ممسياً وإساليا وفكرياً وإعلامياً وسياسياً ، أكبر من احتياح هيكل نفسه لعبد الناصر ، ولهذا صمدت الصداقة ودامت حتى اللحظة الأخيرة من حياة الصديق التاريخي .

غير أن فقد الصديق لأسباب قدرية يختلف كثيراً عن فقدته لأسباب دنيوية ، ما كان أسهل على الإنسان من أن يتفادها ويحمي الصداقة منها .

ومن أشهر الصداقات في تاريخ الأدب العربي الحديث التي تصدعت لمثل هذه الأسباب ، صداقة الدكتور طه حسين والدكتور أحمد أمين ، العالم المحقق المؤرخ ، وقد تقوّضت عقب تعيين الدكتور أحمد أمين عميداً لكلية الآداب عام ١٩٣٩ ، وكتب الأديب المحقق عن فجيعة في هذه الصداقة في مذكراته الشخصية ، فقال :

« وكانت مأساة العمادة أنى فقدت بسببها صداقة صديق من أعز الأصدقاء وما أقل عددهم ، كان يحبني وأحبه ويقدرني وأقدره ، ويطلعني على أخص أسرار وأطلعني ، وأعرف حركاته وسكناته ويعرفها عني ، ويشاركني في سروري وأحزاني وأشاركه ، وكنت هواه وكان هواي ، واستفدت من مصادقته كثيراً من معارفه وفنه ووجهات نظره ، سواء وافقته أو خالفته ، فأصبح يكون جزءاً من نفسي ويملاً جانباً من تفكيري ومشاعري على اختلاف ما بيننا من مزاج ، فهو أقرب إلى المثالية وأنا أقرب إلى الواقعية ، وهو فتان يحكمه الفن وأنا عالم يحكمه المنطق ، وهو يحب المجد ويحب الدّوى ، وأنا أحب الاختفاء وأحب الهدوء ، هو عنيف إذا صادق أو عادي ، وأنا هاديء إذا صادق أو عادي .

ولعل هذا الاختلاف بيننا في المزاج هو الذي ألفت بيننا ، فأشعره أنه يكمل نقصه بي ، وأشعرني أنني اكمل نقصي به ، فجاءت العمادة

مفسدة ، لهذه الصداقة ، لأنه بحكم طبعه أراد أن يسيطر ، وأنا بحكم طبيعتي أردت أن أعمل بما أرى ؛ لأنى مسئول عما أعمل ، ثم ولى منصباً أكبر من منصبى يستطيع منه أن يسيطر على عملى ، فأراد السيطرة وأبيتها ، وأراد أن يحقق نفسه بأن ينال من نفسى فأبيت إلا أن أحتفظ بنفسى ، فكان من ذلك كله صراع أصيبت منه الصداقة ، فحزن لما أصابها وحزنت ، وبكى عليها وبكيت ! »

وكانت مشكلة الدكتور طه حسين هى قوة شخصيته وطغيانها إلى حد كبير على من حوله ، ولهذا فحين كان عميداً لكلية الآداب قبل أحمد أمين ، انفرد بشئونها دون وزير التعليم أو وكيل الوزارة ، وحين نقل إلى الوزارة مستشاراً للوزير وولى أحمد أمين العمادة ، أراد ان يكون له فى كلية الآداب النفوذ نفسه الذى كان له فيها وهو عميدها ، فتعارضت الإرادتان ، ونشب الخلاف وتصدعت الصداقة . غير أن تصدع الصداقة لا يحوّل مشاعر الأوفياء تجاه أصدقائهم السابقين من الود إلى الكراهية ، حتى ولو امتزجت لديهم هذه المشاعر بأحاسيس المرارة والأسى ، ولعل كلمات أحمد أمين الناعية لصداقته السابقة لطه حسين ، تعكس عمق أساه وأسى رفيقه أيضاً على انهيار الصداقة التى كانت عميقة بينهما .

ولا عجب فى ذلك فقد تضطربنا ظروف الحياة للخلاف مع بعض الأصدقاء ، وقد نفشل فى حماية الصداقة من أثر هذا الخلاف عليها فتصدع وتنهار كما ينهار ، بيت قديم ، لكن الأسى على فقد الصداقة

على الرغم من ذلك لا يغيب ، ويظل الإنسان يتمنى دائماً في أعماقه لو لم يكن قد سمح لهذا الخلاف اللعين بأن يتصاعد إلى الحد ، الذي لم يعد معه ممكناً انقاذ الصداقة من الدمار .

وأنا على المستوى الشخصي ما زلت حزينا حتى الآن على فقدى لصداقة صديق خسرت منذ ما يزيد عن ١٥ عاماً ، وكثيراً ما تذكرته وتجدد أساى لاننيار الصداقة بيننا ، كلما قرأت وصف الدكتور أحمد أمين لعلاقته بصديقه ، وكيف كانا يكملان كل منهما الآخر ، ومن عجب أنني قد فقدت هذا الصديق لأسباب مشابهة إلى حد كبير للأسباب نفسها التي قوّضت صداقة الأديبين الكبيرين ، فإن كان ثمة اختلاف بين الحالتين فهو أن صداقتنا الروحية الحميمة ، قد تلقت أول معول هدم في أساسها ، حين جمعتنا تجربة العمل لمدة عامين فقط في مكان واحد لأول مرة ، فلمست فيه بعض ما لم أكن أعرفه عنه ، أو أرضاه منه ، وقد كانت صداقتنا قبل ذلك بعيدة تماماً عن مجال العمل ، لكن البنیان المتين لم يتصدع ، على الرغم من ذلك لأول هدم ، وإنما تجاوز عنه ، وصمد له حتى توالى المعاول واحداً بعد الآخر ، فاستغرق سقوط البنیان ما يقرب من خمس سنوات ، وكانت القشة التي قصمت ظهر البعير بالنسبة لي هي أن رحل شقيقى الأكبر عن الحياة منذ ١١ عاماً ، وتلفتُ حولى في محنتى ، فلم أجده إلى جوارى ، وقد كان يعرفه معرفة حميمة ويعرف أكثر من غيره أنه رفيق طفولتى وصباى وشبابى ، أن جزءاً ثميناً من روحى ونفسى وذكرياتى قد انطوى للأبد معه ، وزاد من أساى

أن جاءتنى منه برقية عزاء فيه ، جددت حزنى على الصداقة الضائعة  
بدلاً من أن تخفف عني ، لأن البرق عزاء الغرباء والغائبين عن المكان ،  
وليس عزاء الأحباء والأصدقاء القريبين من الجوار ، فسلمت لنفسي  
«ب وفاة» الصداقة بيننا للأبد ، على الرغم مما بذل هو بعد ذلك من جهد  
لا أنكره عليه للحفاظ على الود بيننا ، ولكن صداقتنا كانت قد أصيبت  
في الصميم بكل أسف ، ولست أستبعد أن يكون كما قال أحمد أمين عن  
نفسه وعن صديقه ، «حزن لما أصابها وحزنت ، وبكى عليها وبكيت»  
حتى ولو كانت السبل قد تقطعت بيننا للأبد ، ولم يبق من صرح  
الصداقة سوى ما يكتنه كل منا للآخر على البعد من ود وحنين ، فلا  
يدفع ذلك أحدهما للأسف إلى محاولة استئناف الصداقة ، التي بلغت  
أجلها المحتوم ، ولم تبق منها إلا الذكريات المشتركة ، وأصداء الأوقات  
السعيدة التي جمعتنا معاً في مرحلة جميلة من مراحل العمر .

فاحزن يا صديقي إذا حزنت على أنك لم تحزن لفقد صديق عزيز  
مخلص ، وترنم دائماً معي بقول الإمام الشافعي رضي الله عنه :  
وليس كثيراً ألف خلّ لواحد

وإن عدواً واحداً لكثير !

صدقك والله - يا سيدي الإمام - بل وأكثر من كثير !

تتم التحصيل من  
مكتبي